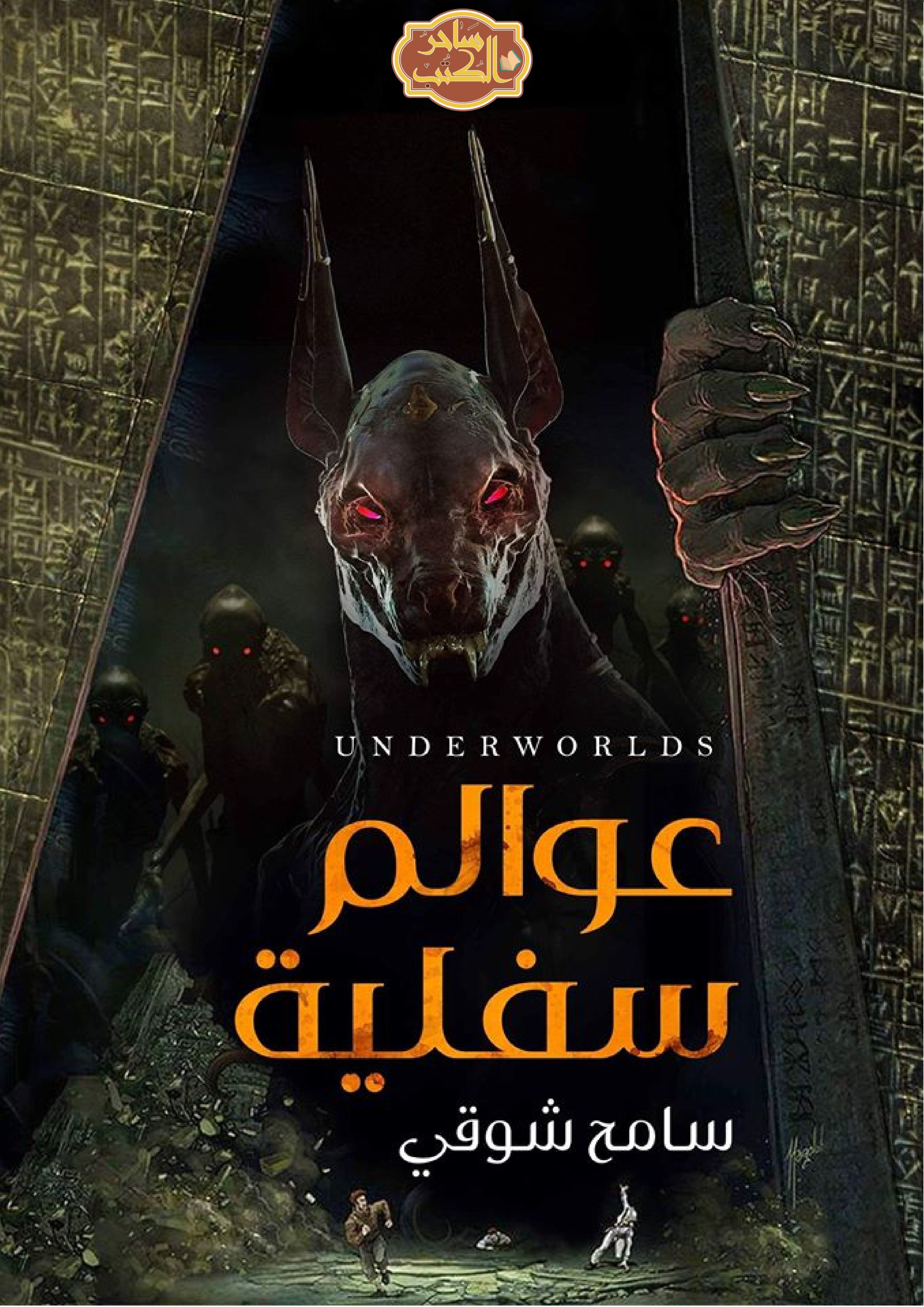

ساحر الكتب
UNDERWORLDS
عوالم سفلية
سامح شوقي

عوالم سفلية





الكتـــــاب: عوالم سفلية
المـــؤلـــف: سامح شوقي
تنسيق داخلي: سندس فخري
الطبعة الأولى: يناير 2020
رقم الإيـــداع: 2020/2054
I. S. B. N: 978-977-992-098-6

المدير العام: محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com





سامح شوقي





(بينما تظن أنك بأمان..يكونون هم قد تسللوا
إلي أدق التفاصيل)

إن في خفاء الحقيقة الكاملة عن العقل دافعٌ للبحث والتجربة والتأمل و التفكير..

ولو عرف الإنسان الحقائق الكاملة عن العالم لانتهي شغفه بالمعرفة ولتوقف عن الاستكشاف

سامح شوقي



الرواية مستوحاة من أحداث حقيقية

(١)

ليس لديّ أي تفسير لما حدث..

كل الأحداث جرت بسرعة خاطفة..

لا أستطيع نفي أو إثبات أي شئ..

لم يكن لدينا الوقت الكافي لاستيعاب ما يجري..

فقد كان الأمر كله جنونيًا منذ البداية...

لستُ علي يقين من التوقيت الذي بدأت فيه الأحداث، ولكنني سأحكي الجزء الذي عشته منها، فكل ما أدركته أنا شخصيًا مما وقع قد بدأ في مساء يوم الثامن من يناير .

لم تكن تلك هي المرة الأولي التي أتعرض فيها لحادث من هذا النوع، ولكن ماحدث يومها كان مختلفًا، فقد فتحت عيني في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل

لأجد نفسي ممددًا على الأرض ملقى على وجهي تحت الأمطار في أحد الشوارع الجانبية بالقرب من النهر.

إن عملي كباحث في الآثار وعالم في المصريات جعل الكثيرين ممن حولي يعتقدون أني أتعرض للأذى بسبب مقابر الفراعنة التي أكتشفها وأستخرج محتوياتها، ولكني كنت دائمًا على معرفة ويقين بكل خطوة أخطوها للأمام، كنت دائمًا أقوى من اللعنات، المقابر والتوابيت والمومياوات.

ولكن الأشياء تتغير، فتلك الليلة كانت هي المرة الأولى التي أقف فيها وجهًا لوجه أمام الشر المطلق، كانت هي المرة الأولى التي أقف فيها عاجزًا عن التصرف أو حتي فهم ما يجري على وجه صحيح.

وفي تلك الليلة بينما كانت هناك أحداث تجري بالخارج لا أعرف عنها شيئًا، كان الشر يتسلل إلى بيتي،

حيث لم أكن مستعدًا له على الإطلاق.



ذهبت إلى بيتي وأنا أرتجف من البرد وقد أغرقتني الأمطار، دخلت إلى البيت لأجد زوجتي (سناء) أمامي، فقالت: سليمان! أين كنت كل هذا الوقت؟ لقد قلقنا عليك للغاية.

فقلت لها بصوت يملؤه الحزن: لقد حدث الأمر مجددًا.

فقالت وقد فهمت ما أتحدث عنه فبدت المفاجأة عليها: حقًا! بعد كل تلك المدة؟

فقلت لها: لا أعرف كيف حدث ذلك

فقالت: لم يحدث ذلك منذ ثمانية أشهر، لماذا يحدث الآن وخارج البيت؟

نظرت للأرض شاردًا وقلت: لا أعرف، كل ما أذكره أني كنت في طريق العودة من العمل، وكانت الساعة الرابعة عصرًا، ثم استيقظت بقرب النهر منذ نصف ساعة، هذا كل ما أعرفه.

فقالت: لا عليك، أدخل لتغتسل بالماء الساخن، وسأعد لك شراب النعناع حتى تخرج.

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وكنت على وشك النوم في تلك الليلة المتجمدة من ليالي شتاء ٢٠١٢ والتي لم تبخل فيها السماء، فلم تتوقف لحظة عن اعتصار الغيوم فأمدتنا بسيل جارف.

جلست أتأمل الأمطار قليلًا من خلف زجاج نافذة غرفتي وأنا أشرب شراب النعناع الساخن الذي أشربه قبل النوم مباشرةً، كنت أفكر فيما حدث لي، وأحاول أن أُكّذب حدسي الذي لم يخطئ من قبل، والذي كان يخبرني أن شيئًا ما على وشك الوقوع.

لم تمر أكثر من عشر دقائق علي ذلك الحدس حتى أثارت أنفي رائحة نفاذة اخترقتها وتصارعت مع رائحة النعناع حتي قضت عليها ولم يبق غيرها.

انقبض قلبي وشعرت بخفقانه الشديد يتردد في صدري، فقد كانت تلك الرائحة التي أعرفها ويعرفها كل من يمارسون مهنتي جيدًا.

إنها الرائحة التي تنبعث في اللحظة الأولى من فتح مقبرة أثرية، رائحة لا نعرف سبب مبعثها ولا كيفيته ولكنها

رأئحة مميزة، ولمن كانت له خبرتي في الآثار فهي رائحة مخيفة، فهي لم تنبعث من قبر إلا وكانت علامة على انطلاق لعنة تصيب كل من تمتد يده إلى محتويات ذلك القبر، هكذا تعلمت من أساتذتي، وهكذا لم أمد يدي على أي من محتويات القبور التي تنبعث منها تلك الرائحة.

فقد أخبرني أحد أساتذتي أنه شهد بنفسه انبعاث هذه الرائحة من أشد مقابر الفراعنة إثارة للرعب، مقبرة توت عنخ آمون.

الآن تلك الرائحة في أنفي، إنها في بيتي.

كيف ذلك؟ ومن أين تأتي؟ لا أعرف.

ثم بدأت تزداد الرائحة حدة، كانت نفاذة بقوة وكأني أقف علي مدخل أحد القبور.

تلك الرائحة جعلت التوتر يسري في نفسي، وشردت رأسي في الأفكار حتى سمعت فجأة صوت شيء يسقط على الأرض خارج غرفتي، فانتبهت رافعًا رأسي لتقع عيني على زجاج النافذة أمامي والذي كان يعكس محتويات الغرفة وبابها خلْفي، ففزعت عندما رأيت في

الانعكاس ظلًا أسود أشبه برجل، يقف على باب غرفتي ويتطلع نحوي ثم التفت عابرًا الممر خارج الغرفة من خلفي.

فقمت مفزوعًا واندفعت لألحق به ففوجئت بزوجتي تصل من الغرفة الخارجية في قلق واضح، ووقفت أمامي على باب الغرفة.

ثم قالت في توتر بالغ: سليمان، هل سمعت تلك الصافرة؟

فقلت لها: أي صافرة؟ لم أسمع شيئًا، من الذي مر من هنا الآن؟

فقالت وقد ازداد توترها: ليس هناك أحد؟

خرجت من باب الغرفة ووقفت أنظر في ارتباك، لا أفهم ماذا حدث، أنا متأكد مما رأيت، فأنا لم تراودني أوهام في حياتي قط، لقد رأيت ظلًا أسود يتطلع نحوي ثم مر من هنا لا أشك في ذلك، كان يبدو في هيئة رجل طويل، وقف على باب الغرفة، ثم أكمل طريقه.

- هناك شيء ما يجري.

فقلت لها: لا عليكي، ماذا كنتِ تقولين؟ ولماذا أنت متوترة هكذا؟

فقالت: هناك شيء غريب يجري بالمنزل.

فقلت: كيف؟

فقالت: لقد كنت أقف في الغرفة الخارجية منذ لحظات، عندما ارتعشت إضاءة المصباح مرة أو مرتين ثم لاحظت شيئًا من الاهتزاز في محتويات الغرفة كلها، ظننته زلزالا، ولكن عندما سكن ذلك الاهتزاز وقعت عيني بالصدفة وأنا أتنفس الصعداء على سلسلة المفاتيح فوق المنضدة، فإذا بها مرتفعة في الهواء فوق المنضدة عدة سنتيمترات.

- ماذا تقولين؟
- أقسم يا سليمان أنها كانت معلقة في الهواء على بعد سنتيمترات من سطح المنضدة للحظات قبل أن أسمع صوتًا يشبه نقيق الضفادع، ازدادت شدته في ثوان، لم أكد أتحمله ولكني فوجئت بالإطار الخشبي الذي يحوي الصورة الكبيرة المعلقة على الجدار في الخارج ينشطر إلى نصفين ويسقط على الأرض، فتوقف صوت النقيق فورًا، وسقطت

سلسلة المفاتيح على المنضدة، وسمعت صوت صافرة طويلًا ومرتفعًا كصوت التشويش الذي يصدر من جهاز الراديو.

- هل هذا كل شيء؟
- نعم.
- اهدئي، سيكون كل شيء على ما يرام، لابد أن ذلك الاهتزاز كان....

قطع كلامي اهتزاز شديد في محتويات الغرفة التي نقف بها، فسكتُّ ونظرت إليّ زوجتي في ذعر

وقالت: هاهو، إنه يحدث ثانيةً.

فرفعت عيني برفق لأنظر حولي فانتبهت إلى مجموعة من الأرفف الجانبية على الجدار والتي عليها بعض أغراض الزينة، فتوجهت إليها حتى وصلت عندها ففوجئت بأن بعض الأغراض على الأرفف قد ارتفعت عن مكانها بمقدار عشرة سنتيمترات تقريبًا.

كانت الأشياء معلقة في الهواء ولكنها ثابتة لا تهتز أو تتمايل وكأن هناك من يمسك بها ويحملها، كان حامل شموع من الفضة، و تمثال طائر من الرصاص اللامع



المصقول، مرّرت يدي من تحتهما، لا شيء يحملهما، كيف ارتفعت هذه الأشياء من مكانها؟

أمسكت بحامل الشموع فلم أشعر بشيء يجذبه من يدي أو يقاومني، فوضعته مكانه مرة أخرى فارتفع ثانيةً لعشرة سنتيمترات ثم فجأة ارتعش الضوء وسمعنا نقيق ضفادع يرتفع في ثوان بشكل متسارع حتى أصبح لا يُحتمل، ثم سمعت صوتًا بجانبي، فنظرت فإذا بكوب النعناع الذي كنت أشربه ينشطر إلى نصفين، ثم اختفى صوت النقيق في لحظة، فنظرت إلى الأغراض فوجدتها عادت إلى مكانها، ثم سمعت صوت صافرة في أذني كالطنين، ثم انتهى الأمر كله على ذلك.

لم نتكلم.

جلست أنا وزوجتي على المقاعد أمام النافذة ننظر إلى المطر في وجوم ولا يملك أي منا تفسيرًا لما رأيناه بأعيننا، ساد الصمت لحظات حتى قطعه صوت ابننا الصغير يصرخ في فزع، فهرعنا إليه لنراه في فراشه في حالة خوف هيستيري وبكاء.

فقلت له: ماذا حدث؟

فقال بصوت مرتجف: هناك شخص غريب في المنزل.

فقلت له: كيف ذلك؟

ولم أنتظر إجابته، جريت نحو الخارج وتناولت سكينًا من المطبخ وفتشت المنزل غرفة غرفة وتأكدت من كل مداخل البيت ونوافذه فلم أجد شيئًا، فعدت لابني أسأله ماذا حدث؟

قال بعد أن هدأ روعه: مرّ من هنا من أمام باب غرفتي واجتازها نحو غرفتكم، كان يشبه الطفل الصغير، ولكن كانت رأسه كبيرة، ففزعت لما رأيته، فناديت أمي، فعاد إلي غرفتي في هدوء وأطل برأسه من الباب، برأسه فقط، ونظر نحوي فشعرت في جسدي بشعور يشبه وخز الإبر أو الشوك، اجتاح ذلك الوخز جسدي بالكامل، فصرخت!

فسألته: أتستطيع أن تصف شكله؟

فقال: كان شكله غريبًا، فقد كان شديد النحافة، رأسه كبير، مثلث الشكل، لا يتناسب حجم رأسه مع جسده، وبطنه منتفخ، ثم سمعت صافرة مرتفعة في أذني، أفقدتني الانتباه لأي شيء حولي، فلم أملك إلا أن أصرخ.

جلسنا مع الصبي حتي نام مطمئنًا، ثم عدنا إلى فراشنا.

ذهبت إلى فراشي وأنا أبحث عن تفسير لما حدث، وبرغم أن الرائحة كانت قد اختفت، إلا أنها لم تفارق ذهني، كان الأمر يشبه نوبة مفاجئة وسريعة من الهلوسة، ولكني مازلت مقتنعًا أن هناك شيئًا ما.

انتهت تلك الليلة ولكن الأمر لم ينتهِ، كانت الأفكار تغلي برأسي، راودني شعور غريب أخذت أدافعه بأن هناك خطب ما جلل يحدث، هناك شيء يغزو بيتي ويعتدي على أسرتي، ويتخطى حدودها الآمنة، ينتزع ذلك الأمن الذي أحارب لأحيط به عائلتي، هذه العائلة هي أغلى ما أملك، وابني هذا قد رُزقنا به بعد سنوات طويلة من الحمل والإجهاض، فأصبح هو الدنيا كلها بالنسبة لي ولزوجتين، كل ذلك جعل شعوري بالخوف علي أسرتي عنيفًا وربما متطرفًا.

هل هذه أعراض نشاط شيطاني؟

هل هي لعنة فرعونية أصابتني بسبب أبحاثي مؤخرًا حول الآثار وتاريخ الأهرام ؟



هل هو وهم؟ أيمكن أن يصيب الوهم عائلة بأكملها؟

أخذت أغالب هواجس الخوف تلك ولكنها غلبتني وأبقتني يقظًا لوقت متأخر، برغم أنني أزعم أني رجل صلب لا أضعف أو أنهار أمام المخاطر، إلا أني كثيرًا ما كنت أتبع الحدس، كنت أتمنى لو كنت مخطئًا، كم أكره أحيانًا أن أكون على صواب، فكلما زادت ثقتي بحدسي كلما انقلبت حياتي جحيمًا مع كل خاطر سيئ يطرق بابي.

شعرت أن شيئًا سيئًا يجري.

وقد كان الأمر أسوأ مما تخيلت.



(٢)

في الساعات الأولي للصباح كان الإرهاق قد غلبني فغفوت لا أعرف لكم من الوقت كانت تلك الغفوة، ولكنها كانت المرة الأخيرة التي عرفت فيها عيني مذاق النوم.

استيقظت في الثامنة إلا ربع صباحًا على جرس الباب.

قمت مفزوعًا وفتحت الباب لأجد شخصًا غريبًا طويلًا تبدو عليه الجدية الشديدة، يرتدي معطفًا أسود ثقيلًا.

فقلت له: أي خدمة؟

فقال: البروفيسور سليمان الصواف؟

فقلت: نعم أنا، أي خدمة؟

فقال: معي رسالة لك من الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار، أعتذر عن إزعاجك في هذا الوقت المبكر، ولكن الأمر عاجل.

فقلت: تفضل أدخل.

وبعد أن جلسنا قلت له: قلت إن الأمر عاجل!

فقال: أنا المقدم لبيب، من المخابرات العسكرية، وقد أُرسلت لك بناء على توجيه من السيد يحيي، أمين المجلس الأعلى للآثار بشكل سري لاستدعائك على وجه السرعة.

فقلت: حسنًا سأكون في تمام التاسعة أمام مكتب السيد يحيي.

فقال بجدية شديدة: بروفيسور سليمان، لعلي لم أكن واضحًا، السيارة تنتظرك الآن لتكون خلال ساعة على الأكثر جالسًا مع أمين المجلس الأعلى للآثار ومعه لجنة على مستوى رفيع للغاية تجتمع بشكل سري في معسكر تابع للقوات المسلحة في الصحراء.

- هل هناك خطب ما؟



- نعم، أرجوك أسرع لنصل في الموعد، وستعرف كل التفاصيل هناك.
- حسنًا، امنحني دقائق أرتدي ملابسي ومعطفي.



كان لبيب شابًا مفعمًا بالحيوية طويلًا قمحي البشرة، يملك مهارات عديدة أهمها قدرته على الحفاظ على المسافات الشخصية والحواجز النفسية بينه وبين الناس، فبرغم صغر سنه وبشاشته إلا أن هناك عائقًا خفيًا يمنع إزالة الحواجز والاسترسال معه في حديث ودّي، كما أن قلة كلامه أحاطت شخصيته بالغموض.

كانت الساعة الثامنة والنصف صباحًا عندما دخلت مع الضابط لبيب إلى مبني صغير من طابق واحد متوسط الحجم، يرتفع عن الأرض بسلم صغير من أربع درجات، وبداخله مكتب قيادة ذلك المعسكر الذي يقع ملاصقًا لهضبة مرتفعة في وسط الصحراء بالجيزة، وعلى يمينه بمسافة قليلة مبنى آخر مماثل له في الحجم.

كان المطر قد توقف ولكن المكان كان يغطيه شيء من الضباب، ضباب لم أصادفه وأنا قادم بطول الطريق من البيت إلى المعسكر.

كان الحاضرون في المكتب أربعة أشخاص، السيد (يحيى عجيلة) أمين عام المجلس الأعلى للآثار، وشخص آخر طويل للغاية أسمر البشرة يرتدي نظارة طبية معتمة قليلاً يُدعي السيد (حجازي) هكذا كان اسمه كما قدموه لي وهو ضابط ذو رتبة رفيعة في جهاز المخابرات العسكرية، ومن الجليّ لي وللجميع أن "حجازي" هو مجرد اسم حركي، والضابط لبيب كان ثالث الحضور، والمهندس (عبد الملك البغدادي) أستاذ متخصص في الاتصالات اللاسلكية، كان الرابع والأخير.

كان ذلك التنوع في التخصصات مثيرًا للقلق، لجنة تبدو متنافرة المهام تمامًا، فما الذي يجمع عالم آثار بضباط في المخابرات، بعالم في الاتصالات، أمر يصعب تخمينه ولكن يسهل القلق بشأنه.

كانوا يجلسون ويبدو عليهم الإرهاق الشديد كما كان يبدو عليهم التوتر باستثناء السيد حجازي والذي لم يكن يبدو على وجهه أي انطباع يمكن قراءته.

قال السيد يحيى بصوت مرهق: بروفيسور سليمان، لقد استدعيتك لأمر عاجل ولعلك لاحظت أن اللجنة المجتمعة بخصوصه لجنة غير عادية.

- نعم، ما الأمر؟
- هناك مشكلة كبيرة تواجهنا، إننا مجتمعون هنا منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة لبحث الأمر، وقد اتفقنا في النهاية على استدعائك، فقد كانت أبحاثك هي الوثائق الأولي التي لجأنا إليها في هذه القضية، وباعتقادنا أنك أكثر الباحثين قدرة على مساعدتنا لفهم ما يحدث.
- هل يمكنك أن توضح الأمر؟
- الأمر يصعب شرحه، كما يصعب تصديقه.

فقاطعه السيد حجازي بصوت ثابت موجهًا كلامه نحوي: باختصار يا برفيسور سليمان، السيد يحيى يرجح أن هناك لعنة تنتظر بالخارج.

فالتفتُّ له في دهشة: ماذا تقول؟ أي لعنة؟

فقال حجازي: منذ يومين كانت هناك تجربة عسكرية سرية على أحد الأسلحة المتطورة التي وصلت لنا من روسيا، أكد مهندسونا أن التطوير الذي أجريناه سوف يغير كثيرًا من توازنات القوة ولكن يجب إجراء التجربة في منطقة بعيدة، لأن السلاح يصدر نوعًا من الموجات

الكهرومغناطيسية والتي من شأنها أن تؤثر على الاتصالات على نطاق واسع، ولم تكن هناك منطقة مناسبة لهذه التجربة أكثر من هذا المعسكر.

قلت: جيد، ثم؟

فقال: تم إخلاء هذا المعسكر من قوته، وبقيت مجموعة من المهندسين والضباط لإجراء التجربة، ولكن للأسف الشديد، كان الطقس سيئًا للغاية ولم يتوقف المطر لساعات طويلة، ولم يكن هذا في الحسبان، فلم تكن تلك أجواءً جيدة لإجراء التجربة، ومع بداية عمل السلاح حدث انفجار شديد.

فقلت: هل قُتل الضباط ؟

فقال: لا، فقد كان كل منهم يأخذ ساترًا قبل بدء التجربة، ولكن بعد حدوث الانفجار وفي وجود هذا المطر الشديد حدث انهيار غريب ومفاجئ في الهضبة التي تقع بالخارج على بعد خمسة وعشرين مترًا من هذا المبني، فظهر لوح حجري عليه نقوش، ظن قائد مجموعة التجربة في البداية أنها مقبرة أثرية، ثم اتضح أنها شيء آخر.

عندما فُتحت.

- شيء آخر! ماذا تغير بعدما فُتحت؟

سكت حجازي قليلاً فرد يحيي: كل شيء انقلب تمامًا، كأن لعنةً ما أصابت المكان، كما أخبرك السيد حجازي بالضبط.

فقلت: يا سيدي أرجوك وضح الأمر، نحن علماء ولسنا هواة، عن أي لعنة تتحدثون؟ وما الذي دفعك لهذا القول؟

فقال: الوضع هنا مختلف، هناك ظواهر مختلفة تمامًا، أحداث غريبة و.....

فقلت: و...؟

فقال حجازي مقاطعًا الكلام: دعني أوضح لك الأمر من البداية يا بروفيسور، منذ يومين في نفس يوم إجراء التجربة بدأت أجهزة الاستقبال اللاسلكي في القوات المسلحة وتحديدًا منطقة شمال القاهرة في رصد تشويش غريب على موجة معينة، ذات استخدام عسكري، بدا الأمر شديد الغرابة، وقبل أن نبدأ في التحقيق حول الأمر،

استلمت أجهزة اللاسلكي فجأة رسالة استغاثة، رسالة صوتية، مشوشة قليلًا ولكنها واضحة، وقد تم تحديد مكان بث تلك الرسالة بإحداثيات دقيقة جدًا من نفس مكان البوابة التي كلمتك عنها هنا في هذا المعسكر، كما أن توقيت استلام الرسالة كان الساعة الخامسة وثلاثة وثلاثين دقيقة عصرًا وهو نفس التوقيت الذي فُتحت فيه البوابة هنا.

فقلت بذهول: تلك البوابة! هنا؟ حسنًا، ثم؟

فأكمل: كما قلت كانت الرسالة صوتية، قام بإرسالها ضابط برتبة عقيد يُدعى (صبحي نصار) يطلب فيها النجدة، وإرسال مدد لفرقته، تم هذا الإرسال بشكل طبيعي عبر جهاز لاسلكي وعلى موجة مخصصة لمثل هذه الرسائل، إلا أن صوت الضابط كان مليئًا بالفزع، بدا صوته كما لو كان يرى الجحيم بعينيه، كما كانت الضوضاء حوله تنم عن أن فرقته أو المجموعة المصاحبة له تتعرض لهجوم ما، أو لتعذيب، شيء من هذا القبيل، كانت أصواتهم تحمل من الألم والخوف ما يكفي لتهرع لهم بالنجدة.

- جيد، وأرى أنك هنا، هذا يعني أن النجدة يقينًا قد أتت.

فنظر نحوي من خلف نظارته نظرة صماء ثم قال: صبرًا يا سيد سليمان، فثمة مفاجآت كانت في الانتظار.

مبدأيًا لم يكن هناك أي فرقة خرجت نحو هذه الجهة لأي مهمة، كما لم يتعرف أحد على اسم صبحي نصار نهائيًا.

- ماذا؟!
- وعندما بحثنا عن العقيد صبحي نصار في الإدارة المركزية، لم نعثر لاسمه على أي أثر.
- كيف ذلك؟
- كما أحدثك، بل وأكثر من ذلك اكتشفنا أن الموجة التي تم الإرسال عليها تم حظر استخدامها نهائيًا منذ أربعين عامًا.
- ما الذي يعنيه هذا؟

فاستطرد في حديثه كأني لم أتكلم: تم تصعيد الأمر فورًا إلى الجهات العليا، وإخطار وزير الدفاع ورئيس الأركان

ومدير المخابرات العسكرية بشكل رسمي عن الرسالة، وتم افتراض وجود شبهة اختراق لأجهزة البث والإرسال والاستقبال اللاسلكية في القوات المسلحة، وبالتالي خضع الأمر لتحقيق موسع فورًا، وبعد ثلاث عشرة ساعة كانت التحقيقات قد انتهت، ولكن حملت نتائجها سلسلة معقدة من المفاجآت غير متوقعة.

- هل تعرفتم على شخصية صبحي نصار؟
- نعم، صبحي نصار كان أحد قادة الفرق في الجيش بحرب ١٩٦٧..و...

كان العقيد صبحي نصار ممن طاردتهم قوات العدو هو وفرقته في سيناء، ولم يعودوا منها أبدًا!

فتحت عيني على اتساعها ذهولًا وانعقد لساني فلم أنطق بكلمة، فأومأت برأسي مستفهمًا!

فقال: رسالة تم استلامها في السابع من يناير ٢٠١٢ بينما من أرسلها شخص فُقد في الحرب منذ خمسة وأربعين عام، أو دعنا نصيغ الأمر بشكل آخر، رسالة تم إرسالها عام ١٩٦٧ من مكان ما بسيناء وعلي تردد موجة إرسال كان مستخدمًا في زمن الحرب، ثم بطريقة ما تم

استقبالها بعد خمسة وأربعين عامًا وكأنها قد صدرت من مصدرها للتو، والغريب أن إحداثيات البث هي مكان آخر يبعد عن موقعها المُفترض قرابة ثلاث مئة ميل، كل هذا قد حدث عندما فُتحت بوابة أثرية ذات شكل غير مألوف في نفس مكان بث الرسالة بالصحراء.

هل تملك تفسيرًا يا سيد سليمان؟

لم يكن عندي ما أقوله فأخذت أنظر إليه في دهشة وساد الصمت لحظات.

كان حجازي طويلاً قوي البنية..ذا شخصية عسكرية محترفة، ووجه جامد، لا يمكن تمييز رضاه من سخطه من وجهه، شديد الحزم والصرامة، مباشر ينفذ إلي الحقائق ويتوقع من الجميع القفز فوق الثرثرة نحو الإجابات المطلوبة والمعلومات اللازمة فقط.

عاد حجازي مرة أخري للكلام: أعتقد أني هكذا قد أوضحت لك جانبًا مهمًا من قصة هذا المكان.

فقلت: جانب واحد؟ أمازال هناك شيء لم أعرفه؟

فتوجه نحوي يحيى أمين عام المجلس الأعلى للآثار قائلًا: نعم، هناك جانب آخر من القصة ربما أكثر غرابة، وهو سبب استدعائي أنا إلى هنا، الجانب الذي حدث هنا بينما كانوا يستلمون رسالة صبحي نصار في الجانب الآخر، فكما أخبرك السيد حجازي بدأ الأمر برمته منذ يومين، وكما رأيت هذا المعسكر يقع في سفح هضبة، تلك الهضبة التي تبعد عن هذه الغرفة قرابة خمسة وعشرين مترًا.

وفي تمام الساعة الرابعة والنصف عصرًا بينما كانت مجموعة التجربة تستكشف أثر الانفجار شعروا بهزة أرضية خفيفة ولكنها كانت مصحوبة بصوت مرتفع نابع من الأرض، حتى ظنوا أنهم فوق فوهة بركان على وشك أن يثور، بعد دقيقة توقف كل شيء ولكن لاحظ المهندسون انهيارًا رمليًا حدث بسبب الانفجار مع تأثير المطر الغزير في الهضبة المجاورة لهم، ما أظهر لهم تكوينًا حجريًا لم يبدُ عشوائيًا، بدا بوضوح أنه نحت متقن منتظم مطمور بالرمال، فقاموا بإزاحة الرمال من فوقه ليظهر لهم بالفعل لوح حجري كبير طوله مترين وعرضه

متر ونصف، ما دفعهم للإبلاغ عنه بصفته كشفًا أثريًا مثيرًا للريبة، وعلى ذلك تم استدعائي إلى هنا لألقي نظرة، وعندما جئت لأراه وجدته بالفعل غير مألوف.

- كيف؟
- كما قال قائد مجموعة التجربة في بلاغه، وكما تبينت أنا بعد ذلك، فإن الطريقة التي صُنع بها هذا الجدار الحجري ليست الشكل المعتاد الذي نعرفه لبوابات المقابر الفرعونية أو حتي المعابد أو السراديب، إنه شيء آخر مختلف، كما أن النقوش التي احتواها ذلك اللوح ليست فرعونية تمامًا.
- ماذا تعني بليست فرعونية تمامًا؟
- أقصد أنها لغة تشبه الهيروغليفية، ولكنها ليست كذلك، هناك رموز لها مثيلاتها في الهيروغليفية، ولكنها تقع بين رموز أخري كثيرة لا نعرف عنها شيئًا، رموز -كما أظن- بلغات أخرى لم نعهدها في أي أثر فرعوني، لم تكن يونانية ولا ديموطيقية ولا تنتمي لأي لغة قديمة نعرفها، وقد استعنا بأبحاثك حول اللغات القديمة ووجدنا بالفعل أنك تكلمت عن لغة رموزها مشابهة لتلك الرموز..

- أي لغة؟
- السومرية!

فنظرت إليه بدهشة شديدة.

فأكمل كلامه: ولكن عندما تفحصت اللوح جيدًا وجدت نقشًا هيروغليفيًا، مكونًا من سطر واحد.

- ما هو النص المكتوب في ذلك السطر؟
- كان هذا أيضًا غريبًا للغاية، لقد كان النص المكتوب تحذيرًا غريب اللهجة، كان يقول:

" أيها العابر لهذا الباب..يجدر بك أن تودع كل ما وراءك، فالطريق هنا له اتجاه واحد فقط "

- ما الذي يعنيه ذلك؟
- لا أعرف، ولكن كان هذا دليلًا واضحًا على أن هذا الجدار ليس أكثر من باب، وكانت الكلمة الفرعونية تشير إلى أنه ربما يكون مقبرة، فلم يكن هناك معني لتلك الجملة أقرب من ذلك، أعني الوداع والطريق من اتجاه واحد، هكذا.

الحاصل أنه بعد ساعة وفي تمام الخامسة والنصف كان هناك خمسة من عمال التنقيب الذين استدعيتهم يصطفون حول الباب ليفتحوه، وما أن جذبوه للخارج حتى سمعنا ذلك الصوت اللعين الذي تسمعه الآن.

فأنصتُّ قليلاً، إنه الصوت الذي أسمعه منذ جئت، فقلت له: ماهذا الصوت؟ لقد ظننته آلة حفر.

- لا ، إنه الصوت الذي يصدر من هناك، من تلك الفجوة اللعينة.
- فجوة؟
- نعم فقد كان الجدار بابًا يخفي خلفه فجوة في تلك الكتلة الصخرية المرتفعة، خرج هذا الصوت مرتفعًا فأصم آذاننا.

كان الصوت مرعبًا للغاية، وقفنا جميعًا نشعر بالفزع وننتظر في حذر أي شيء يخرج، وعندما طالت المدة قام أحد العمال باستجماع شجاعته وأشعل شعلة من النيران في عصا طويلة..ثم ألقي بها بداخل الفجوة ليضيئها لنا حتي نستطيع استكشافها.

- جيد..

- ليس هناك شيء جيد.
- لماذا؟
- لقد شاهدت ذلك بنفسي كما شاهده كل من كان بالمعسكر.

تلك الشعلة عندما وصلت إلى حافة الفجوة وأمام أعيننا توقفت في الهواء، ظلت معلقة تتقلب في الهواء على حافة الفجوة، ثم فجأة اندفعت بقوة عائدة نحو ذلك العامل لتشعل النيران بجسده فورًا، فأخذ يركض في جنون، حاولنا إخماد النيران وإنقاذه بلا فائدة، فكلما أطفأنا النيران تعود لتشتعل من جديد.

- ماذا تقول؟
- أعرف أنه أمر غريب ولكننا جميعًا رأينا ذلك، وعندما أفلحنا أخيرًا في إطفاء نيرانه كان الوقت قد تأخر، كان جسده قد تفحم تمامًا.

جعل ذلك كل من في الموقع يخشى على نفسه محاولة التفكير في اقتحام الفجوة، من شراسة رد الفعل الذي رأوه.

قبل أن تبدأ الفجوة نفسها في الهجوم.

- هجوم؟! ماذا حدث؟
- عندما انتهينا من نقل جثمان العامل، فوجئنا بالصوت الذي يصدر من الفجوة يعلو بشدة، ثم فجأة بدأ يخرج منها ضباب.
- أتقصد ذلك الضباب الذي بالخارج؟
- نعم..خرج ضباب شديد الكثافة من الفجوة مع تيار هوائي، وهو ما يسبب ذلك الضباب الذي لاحظته بالخارج.
- أتقصد أنه مازال يخرج حتى الآن؟
- نعم، لم يتوقف ذلك الضباب بتاتًا من الخروج منذ إخماد حريق العامل المسكين، وجعلنا عاجزين تمامًا عن استكشاف ما بداخل تلك الفجوة.
- ألم يحاول أحد الدخول بعد ذلك؟
- لا..فقد أصدر قائد التجربة لهم الأمر بالتوقف عن أي محاولة، وعلى كل حال فقد كانت الأحداث سريعة ومتلاحقة لم تعطنا الفرصة للتخطيط لدخول الفجوة.
- ماذا حدث؟

- بينما كان الضباب يخرج ويرتفع في السماء، كانت كثافته شديدة في البداية حتى أنه جعل الرؤية مستحيلة كنا نتخبط في الضباب عندما فوجئنا بأجسام تتساقط علينا من السماء، بعد دقائق بدأت الرؤية تتضح لندرك أنها طيور.

كانت أسراب من طيور غريبة وغير معروفة تسقط علينا من السماء ميتة، والمثير للخوف أنها كانت تسقط علينا وهي تنزف من مناقيرها ورؤوسها.

- لقد أصبحتُ مشوشًا، ما معني طيور غريبة، تقصد طيور مهاجرة ؟
- لا، أقصد أن هذه الطيور سقطت من وسط الضباب، هذه الطيور لم تكن في سماء المنطقة، ولولا أني شاهدت الأمر بنفسي ما كنت لأصدق أنه حدث، ما جعلنا نستدعي الدكتور (علي الحوّار) – وهو أستاذ في علم الحيوان ومتخصص في الطيور البرية– لنستوضحه ماهية تلك الطيور، وقد أفاد بأن هذه الطيور هي نوع من الطيور التي تعيش في جزر نائية في القطب الشمالي ولا تهاجر أو تمر على شمال

أفريقيا بتاتًا، والأغرب أن هذه الفصيلة على وجه الخصوص منقرضة منذ ما يقرب من ستين عام.

- أمر غريب جدًا.
- لا تتعجل فما زال هناك أحداث كثيرة أكثر غرابة.
- ماهي؟
- كل الحيوانات التي كانت حول المنطقة في حدود ميل تقريبـًا قد ماتت في نفس التوقيت.
- ماذا؟!
- الكلاب و الحشرات والعصافير ..كل الحيوانات نفقت فجأة وبصورة مثيرة للريبة.
- كيف؟
- كانت أجسادها جافة تمامًا كأنما امتص دماءها شيء ما، وجميعها بلا استثناء كانت منزوعة الألسن والعيون.
- مثير للريبة حقـًا !!
- وعندما استدعينا الأطباء البيطريين للوقوف علي حقيقة الوضع قاموا بفحص جثث الحيوانات وتحليل ما بقي من أنسجتها، أفادوا بأنها حالة فريدة وغير مألوفة ويُرجح أنها قد ماتت بسبب نوع من

الجراثيم غير معروف..وبقي أمر الألسن والعيون غير مفسر مطلقًا.

- لا أصدق! ما كل هذا؟
- ما زال هناك المزيد، فكل الظواهر التي حدثتك عنها تنتهي علي بعد ميل واحد من الفجوة في جميع الاتجاهات، فالضباب لا يتعدي هذه المسافة، كذلك الطيور والحيوانات لم يصبها شيء خارج تلك المساحة، وذلك الصوت الذي يخرج من الفجوة ينقطع بعد مسافة الميل بمتر واحد.
- حسنًا..الأمر شديد الغرابة، ولا أنكر أنه مربك تمامًا، ولكني ما زلت لا أفهم لماذا لم يدخل أحد الفجوة؟ برغم كل ما حدث كان لديكم وقت كاف منذ يومين لوضع خطة واستكشاف الفجوة.
- نعم ولكن ما حدث بعد ذلك كان كفيلًا بأن يجعلنا نفكر ألف مرة قبل الدخول.
- أما زال هناك بقية للقصة؟
- نعم، بقي الجانب المأساوي من الأحداث.
- ماذا حدث؟

- حدثتك عن خمسة أشخاص قد حملوا الجدار الذي يسد البوابة.
- نعم..وهؤلاء شهود في غاية الأهمية يجب أن أجلس معهم قليلًا إذا أذنت.
- هؤلاء الخمسة ماتوا واحدًا تلو الآخر خلال الاثني عشر ساعة التالية لفتح البوابة.
- فقلت مفزوعـًا: كيف ذلك؟
- ليس موتهم فقط هو المفزع يا سليمان بل الطريقة التي ماتوا بها والوقت الضيق الذي انتهت فيه حياتهم هو المفزع .
- تكلم يا يحيى أرجوك.
- البداية كانت بعد حوالي ساعة من فتح الفجوة، بدأت حرارتهم في الارتفاع، كان الأمر بسيطًا في البداية ولكن الحرارة لم تستجب للعلاج، بل كانت الحرارة تزداد، وبسبب حرارتهم تلك والتي ظلت مرتفعة باستمرار، قمنا بعزلهم تمامًا، قبل أن تبدأ أعراض أخرى أكثر خطورة في الظهور عليهم.
- أعراض؟
- وهذا ما دفعني للاعتقاد بأنها لعنة.

فنظرت له في ارتياب..

- أعرف يا سليمان أن عقلك لا يستوعب ما تسمع، ولكن الأمر بالفعل قد خرج عن نطاق المعقول، لقد كانت حرارتهم لا تنخفض أبدًا، ثم بدأنا نلاحظ تجعدًا غريبًا في بشرتهم، ثم ظهور شيء من الشيب في رؤوسهم، أخذ يزداد مع الوقت كأنهم يهرمون أعوامًا كل ساعة.

الأغرب أننا كنا نحاول تقديم الطعام لهم، فإذا أمسكه واحد منهم يتحول في يده إلي رماد، فإذا وضعنا في فمه الطعام تحول إلي تراب، وإذا أمسكوا فاكهة تتشقق ويخرج منها الدود، وإذا ما رفع أحدهم كوبًا من الماء أو الحساء إلي فمه تبخر عند شفتيه، ثم تحولت الحرارة إلى حمى، ثم بدأت جلودهم تتقيح، انتشر القيح في كل مكان من أجسادهم، ثم أخذت تلك التقيحات والقرح تنزف دمًا وصديدًا، ثم أصابتهم نوبات صرع شديدة.

ثم...

ماتوا واحد تلو الآخر..



وبمجرد أن توفي آخرهم كان السيد حجازي قد وصل ووصلت معه قوات محدودة، ثمانية أفراد من قوات خاصة من الجيش وقاموا بعزل المعسكر تمامًا واغلاق محيطه، واستلم قيادة المعسكر، وقام بترحيل كل من كان بالمعسكر من مجموعة التجربة إلى منطقة أخري لإبقاء الأمر طي الكتمان، وقد اجتمعنا من وقتها إلي الآن لبحث ما يمكن عمله، واستدعينا المهندس عبد الملك، واستعنا بأكبر قدر من المراجع والتي رجع معظمها إليك، ثم رأينا في النهاية وجوب استدعائك لتكون علي رأس الفريق المكلف باستكشاف الأمر،

فهمت ولكن يجب قبل أي شيء أن أري الفجوة واللوح الذي كان يغلقها.

بالتأكيد، هيا بنا.

كنت آخر من خرج من المكتب، ولكني أثناء خروجي شعرت أن هناك أحدًا خلفي، التفتُّ خلفي فلم أجد أحدًا مطلقًا، غير أني لاحظت أطراف أوراق كانت على منضدة الاجتماع تتطاير كما لو أن تيارًا من الهواء يمر عليها.

أو ربما شيء آخر!



(٣)

توجهنا إلى الفجوة على الفور..

عندما خرجنا من المكتب كان المكان يبعد حوالي خمسة وعشرين مترًا، وكان الصوت الغريب مازال ينبعث من حين إلى آخر، ولكني عندما خرجت بدأت أنتبه للصوت جيدًا لم يكن يشبه آلات الحفر كما ظننته في البداية، لقد كان صوتًا يشبه صوت ألواح حديدية ضخمة تنزلق وتصطك ببعضها البعض، كان صوتًا يلقي الفزع في القلوب.

كان الضباب لايزال ينبعث ولكن الرؤية كانت جيدة نوعًا، بينما اختلف الأمر تمامًا عند الفجوة، فعندما وصلنا رأيت سُحُبًا دخانية سوداء كثيفة تسد الفجوة ويتسرب منها قدر يسير إلى السماء مكونًا الضباب المعتم



الذي يغطي المكان بالكامل لمساحة ميل في كل اتجاه من الفجوة.

وقفت مواجهًا الفجوة، كانت المسافة بيني وبينها قرابة الثلاثة أمتار، وللحق فقد امتلأت نفسي رهبة من شكلها ومن الدخان الأسود الكثيف الذي يقف علي حافتها محتبسًا مملوءًا بحركة محمومة كأنه يغلي، أخذت أفكر في هذا الدخان الذي يقف بيننا وبين ذلك الصوت المفزع الذي يصدر من الفجوة، كيف يقف هكذا؟ ما الذي يحبسه في مكانه بهذا الشكل؟؟ لم أستطع الاقتراب أكثر من ذلك..ثم نظرت إلى يميني فوجدت اللوح الحجري الذي كان يسد الفجوة.

كان أمر ذلك اللوح أغرب مما ظننت، كان جدارًا سميكًا من الحجر منحوتًا بطريقة فريدة، فقد كانت الكتابة عليه بارزة وليست محفورة في الصخر، وكأنهم كتبوا ما يريدون ثم قاموا بنحت الجدار حول الكلمات، وبالفعل كانت النقوش وطريقة ترتيب النصوص غير مألوفة، لقد كان أشبه بالصفحة الإلكترونية، يمتلئ بالخانات المستطيلة، كبيرة وصغيرة، يبدأ من الأعلي بخانة كبيرة ثم خانة أصغر

فأصغر مرتبة تنازليًا حتى نهاية الجدار، وبداخل كل خانة رموز شتى، بعضها يشبه اللغة المسمارية، وهي لغة حضارة بابل، إنها لغة سومرية واضحة بالنسبة لي، ولكن هناك بعض الرموز غير المعروفة، وفي أسفل الباب كانت الجملة المكتوبة باللغة الهيروغليفية كما وصفها يحيى، وهي ما أثارت انتباهي، فأخرجت هاتفي وقمت بتصوير الجدار جيدًا.

انتهيت من التصوير ثم عدت إلى المكتب للإعداد لخطة عاجلة.

وبدأ الاجتماع..

كان الفريق مكون من خمسة أفراد، أولهم المهندس عبد الملك، دكتوراة في الاتصالات، متواضع الملابس شعره غير مهذب، ولحيته مهملة، وعقله دائم الانشغال والشرود في الأفكار، يحمل ساعة من طراز قديم ذات سلسلة، عبقري نافذ البصيرة في الخمسين من عمره، اعتقله العلم في دروبه فلم يسمح له بأن يتزين بشيء من حطام العالم.

والثاني كان يحيى، صديق دراسة قديم، رجل علم مهذب، قصير ممتلئ الجسد، ينحدر من عائلة نبيلة، شديد المرونة وسعة الصدر، شديد التحفظ فلا يأخذ زمام المبادرة أبدًا، ولكنه مقدام عند الخطر وهذا ما يميزه،

والثالث هو حجازي ضابط المخابرات و الرابع زميله الأقل رتبة لبيب، ثم أنا خامسهم وآخر فرد في المجموعة، بينما هناك ثمانية أفراد بالمعسكر بالخارج.

قلت لهم: في البداية أود أن نستعرض سويًا كل ما يمكن تكوينه من نظريات حول الأحداث التي حدثت والتي ارتبطت بفتح الفجوة، وأرجو أن يعرض كل منكم رأيه بمنتهي الصراحة، ومهما كانت الفكرة التي تطرأ على عقل أي شخص من هذا الفريق فرجاء لا يتردد في طرحها.

ولكني أريد أن أوضح ملاحظة هامة في البداية، فبعد أن قمت بفحص اللوح الحجري الذي كان يسد الفجوة اكتشفت أمرًا هامًا.

فانتبه الجميع في اهتمام لما سأقول.

فأخرجت الصور التي كانت في هاتفي وقلت لهم: انظروا هنا، ألا تلاحظوا شيئًا غريبًا؟ أريدكم أن تلقوا نظرة مقارنة بين نمط الكتابة على الجدار ونمط كتابة الجملة الهيروغليفية في نهاية الجدار.

فتأملوها جيدًا وأخذ كل منهم يفكر بدون أي تعليق.

ثم قال حجازي بعد تأمل الصورة: ما الذي تريد أن تقوله؟

فقلت: لاحظوا، لقد كانت كتابة النص الأساسي على الجدار بطريقة بارزة، أي أنه تم نحت الحجر حول الكلمات، بينما كانت الكتابة الفرعونية كما نعهدها غائرة، أي بحفر الرمز نفسه في الجدار.

يحيي: وما الذي يعنيه هذا؟

قلت: أعني أن الشخص الذي كتب النص على اللوح غير الشخص الذي كتب النص الفرعوني.

وإذا وضعنا في الاعتبار أن النص الفرعوني أكثر وضوحًا كما أنه كُتب في آخر مكان أسفل اللوح. نستطيع أن نستنتج أن الكتابة الفرعونية أتت لاحقة لكتابة النص الأصلي.



يحيي: لا أفهم ما ترمي إليه!

قلت: الجملة التي كُتبت بالهيروغليفية لم تُشِر إلى أي تفاصيل عن الفجوة أو الجدار أو حتى تفاصيل النص الأصلي الطويل المكتوب فوقها، ولم تذكر اسم أي شخص، إنه فقط تحذير، وهذا قد يشير إلى أن الفجوة تم غلقها بهذا اللوح من قبل حضارة أخرى أو في زمان سابق لاستخدام الهيروغليفية، ثم عثر عليها الناس في مصر القديمة وحاولوا فتحها فعانوا مثلما نعاني الآن، فألحقوا بالنص الأصلي ذلك التحذير، وهذا قد يُفسر عدم كتابة أي شيء عن أصل النص، فربما لم يستطيعوا قراءته مثلنا.

يحيى: ألا يمكن أن يكون في الأمر خدعة؟ مجرد تمويه لمنع الناس من فتح الفجوة؟

فقال عبد الملك: أعتقد أن هذا غير وارد نهائيًا يا سيد يحيى، فما خرج من الفجوة يؤكد أن التحذير حقيقي، هناك شرك تم نصبه لمن يفتح الفجوة فعلًا، الأمر هنا ليس تخمينًا أو ترجيحًا.

يحيى: نعم، معك حق.

فقلت: وأنا أوافق على ذلك لقد كان التحذير أمينًا في وصف الهلاك الذي ينتظر من يفتح الفجوة ولكنه أيضًا يعني أن هناك من حاول الدخول قديمًا بالفعل وهلك.

فقال عبد الملك موجهًا كلامه ليحيى: أريد أن أسألك سؤالا، ألم تحاولوا سد الفجوة مرة أخرى بعد كل ما حدث؟

يحيى: لا، هناك خوف سيطر على الجميع من تلك الفجوة، الضباب، ذلك الصوت، الأحداث الغريبة التي حدثت، كل شيء يحيط بتلك الفجوة يملأ الجميع بالخوف.

فقلتُ للسيد حجازي: هل لديك نظرية ما بخصوص تلك الفجوة يا سيد حجازي؟

فقال: نعم، اعتمادًا على الرسالة التي استلمت من الضابط صبحي نصار..نستطيع بسهولة أن نفترض إمكانية وجود تسجيل لتلك الرسالة التي أُرسلت منذ سنوات وما حدث أنه تمت إعادة بثها من جديد، وبناء على ذلك فنحن لا نستبعد وجود تلاعب من شخص ما، وبغض النظر عن دوافعه في الوقت الحالي يمكننا أيضًا أن

نبحث عن طريقة ما استطاع بها معرفة أي شيء عن وجود ضابط اسمه صبحي نصار، اختفى أثره في الصحراء منذ خمسين عامًا.

فقلت: وما تفسيرك للطيور التي سقطت من السماء بناء على هذه النظرية؟

فقال: بالنسبة للطيور فليس هناك شيء غير منطقي حيالها، فليس معنى تسجيلها في سجلات التصنيف الحيواني بصفتها منقرضة، أن تكون ليست موجودة على الأرض فعلًا، هذا يحدث بالفعل، وهناك حالات سابقة نعرفها لأمور مشابهة، أعني فصائل من الحيوانات تم التعامل معها بصفتها منقرضة ثم ثبت العكس بعد حين.

- كيف ذلك؟
- عندما سألنا الدكتور "علي الحوار" وهو من أكبر أساتذة علم الحيوان في الشرق الأوسط، أكد هذا الكلام، وأشار إلى حادثة غريبة تُعرف بحادثة "إنسان نبراسكا"، الذي قُدّم للعالم باعتباره أحد أسلاف الإنسان وحلقات الوصل في سلسلة التطور الداروويني، وقد تم بناء التصور عن وجود هذا

الإنسان فقط على ضرس تم العثور عليه في البرية، وبعد سنوات من الاحتفاء به اكتشفوا بالأشعة أن الضرس هو لأحد الخنازير البرية المنقرضة، ونظرًا لأنه منقرض فقد حاول التطوريون عبثًا الدفاع عن فرضيتهم بوجود إنسان نبراسكا، حتي عام ١٩٧٢ عندما تم اكتشاف قطيع كامل من ذلك الخنزير في باراجواي، قطيع كامل موجود من حيوان كان يُنظر له باعتباره منقرض.

يحيى: والضباب؟

حجازي: هذا هو سبب قناعتي الجازمة بوجود مؤامرة، فوجود ضباب أسود لن يصعب افتعاله من شخص متلاعب وسوف يوفر له غطاءًا جيدًا، كما سيمثل مصدرًا للتنفير من اقتحام الفجوة عليه وضبطه متلبسًا بداخلها، فيظل هو أو حتي معداته بالداخل، ويُبقينا نحن هنا نفترض النظريات، بينما هو هناك يستعد للخطوة التالية.

يحيى: والمنقبين الذين ماتوا؟

حجازي: الأسلحة البيولوجية موجودة منذ الحرب العالمية الأولي، ولا شك أنها تطورت تطوراً مهولاً اليوم وبإمكان الجيوش استخدامها بطرق مختلفة، ووجود جراثيم قاتلة للإنسان وأخري للحيوانات أمر لا يُستبعد.

فقلت: ولكن ما تقوله معناه أن المتلاعب هو جهة معادية وليست شخصًا يريد أن يعبث من أجل المال، أعني جهاز مخابرات مثلًا.

حجازي: أعني ذلك بالضبط، وهذا يفسر إمكانية معرفتهم لشخص مثل صبحي نصار

يحيى: والنار التي ارتدت على العامل وأحرقته؟

حجازي: ربما نحتاج هنا لعالم فيزياء ليدعم كلامي ولكنني أستطيع أن أجزم لك أن هناك وسائل فيزيائية يمكنها صنع مثل تلك الأشياء وبطريقة احترافية كالتي رأيتها، إن كان يقف وراء تطويرها عدو لا يبخل بالإنفاق على تطوير الأسلحة، إنها حروب الأجيال الجديدة أسلحة من الجيل الخامس والسادس، فالأسلحة لم تعد بارودًا وطائرات فقط.

فقلت: حسنًا بإمكاننا اعتبار هذه هي النظرية الأولى (هجوم من جهة معادية بأجيال جديدة من أسلحة متطورة)

ثم نظرت إلى يحيى قائلًا: وأنت يا يحيى ماذا تظن؟

يحيي: أنا أعتقد بشكل جازم أن الأمر يتعلق بلعنة ما، ربما لعنة الفراعنة أو ربما أي لعنة أخري متواجدة بالمكان.

فقلت: هل يمكنك أن توضح أكثر؟

- ربما الأقرب إلى الترجيح عندي هو أن تلك الفجوة هي بداية طريق لشيء ما أراد من وضعه في مكانه أن يحميه بطرق شتى، فقام بنصب تلك اللعنة.

وأريد أن أوضح لأعضاء هذا الفريق ممن لا يشتغلون بالآثار ما أعنيه بكلمة لعنة، فأنا لا أقصد بلعنة الفراعنة بالضرورة أن تكون شيئًا من السحر، ولكن اللعنة التي نقصدها غالبًا أثناء التنقيب هي مجموعة الشراك المتعاقبة أو المترتبة على بعضها والتي تم تدبيرها بشكل مسبق من قبل الكهنة في العصور القديمة من أجل حماية المقابر، وهي فخ أو مجموعة فخاخ يسقط فيها عفوًا من أراد أن

يسرق المقابر، ولأنها عادةً ما تكون غامضة ومجهولة الأعراض والعواقب فقد اعتقد البعض أن منشأها السحر السفلي لذا سُميت في عصرنا باللعنة.

والاحتمال الآخر الأقل ترجيحًا ولكنه بالرغم من ذلك لابد أن يظل مطروحًا هو اللعنة بمعناها الكلاسيكي الذي يتبادر إلى الأذهان عند سماع كلمة لعنة، وهو أن كل من تمتد يده إلى دفائن الفراعنة فإنه يصيبه المرض أو الموت، ولكني لا أرجح ذلك، لأن هذه الفرضية لن تفسر الطيور أو احتراق العامل، بينما قد تفسر الضباب وموت الحيوانات في منطقة الفجوة.

- حسنًا لنقل بالاحتمال الأول، هي مجموعة فخاخ تم نصبها منذ آلاف السنين.

يحيي: نعم أعتقد أننا هنا نواجه شيئًا مشابهًا، وأن من صنع هذه الفجوة اتخذ احتياطات مختلفة مثل محاولة تضليل المكتشف باللغات المتعددة على الباب، بل وبمعني الجملة التي تركها والتي تثير فزع من يقرأها وتجعله يتراجع فورًا، وببعض الشراك التي تثير الرعب

كجرثومة قاتلة للإنسان والحيوان، وهو أمر نعرفه في المقابر الفرعونية.

فقلت: والضباب؟

فقال: لعلهم قديمًا بطريقة ما توصلوا لوسيلة استطاعوا بها صنع ذلك الضباب الغريب، فهناك طرق عديدة لصنع الضباب الصناعي.

فقلت له: كيف يمكن ذلك إذا كان الأمر منذ آلاف السنين؟

فقال: هناك طرق عديدة، فنحن لا نعرف إذا كان هذا دخانًا أم ضبابًا.

فقال عبد الملك: وما الفرق؟

فقال يحيى: الدخان هو غاز يحمل جسيمات صلبة صغيرة من مادة ما، وهي ما تحدد لون الدخان أبيض أو أسود أو غير ذلك، أما الضباب فهو سائل متناثر في وسط غازي، ولكل منهما طرق عديدة لإيجادهم بشكل صناعي.

فلو كان دخانًا فربما بالداخل مادة تشتعل عند اختلاطها بالهواء وهو ما حدث بعد فتح الفجوة، ولا تنسي أن الجو بالداخل كان دافئًا لآلاف السنين والجو بالخارج شديد البرودة.

ما أريد أن أقوله هو أنه لا ينبغي لذلك الضباب أن يوجهنا توجيهًا خاطئًا، أو يلهينا عن فهم حقيقة الفجوة، فربما كان هذا هو الغرض منه في الأساس، فإنتاجه بشكل صناعي ليس بالأمر الصعب خاصة إذا كنا نتكلم عن الفراعنة.

- وما تفسيرك للطيور المنقرضة؟
- أتفق مع السيد حجازي في أنها ربما لا تكون منقرضة، الخطأ البشري وارد، وهناك احتمال آخر.. فربما خرج ذلك السرب من الفجوة نفسها، فقد كان الضباب كثيفًا ولم نرَ ما الذي خرج من خلاله.
- نعم ولكن هل هذا يفسر أنها ميتة أو يفسر الدماء على مناقيرها؟ أو انتزاع أجزاء من أجسادها؟
- لا لا، لا نستطيع تفسير ذلك الآن ولكن لا يجب

أن نترك حدثًا غامضا مثل ذلك يشتت انتباهنا، أو يغير في أولويات بحثنا، ربما نتفرغ لاستكشاف أمر الطيور في وقت لاحق.

فقلت له: أتفق معك، ولكن ما الذي يربط لعنة فرعونية بضابط في موقعة حربية منذ خمسين عامًا؟

- أعتقد أن.....

قطع كلام يحيى صوت جندي وقف علي باب المكتب لاهثًا، يقول موجهًا كلامه لحجازي: سيدي..سيدي لقد.....

حجازي: اهدأ، ما بك؟

فقال الجندي بأنفاس متسارعة: لقد توقف الصوت الهائل الذي يخرج من الفجوة..و..و....

حجازي: وماذا؟

الجندي: واستلمنا رسالة جديدة من الضابط صبحي نصار!

فانتفضنا جميعًا في لحظة واحدة ونحن في حالة ذهول نهرع نحو المكتب الذي وضعت به أجهزة اللاسلكي، لنستمع إلى تسجيل الرسالة الجديدة.

والتي زادت الأمر تعقيدًا.

وقفنا جميعًا حول جهاز التسجيل مترقبين في صمت عندما شرع ضابط اللاسلكي في تشغيله، كان صوت الرسالة مشوشًا قليلًا، وقد بدا الذعر واضحًا تمامًا على صوت صبحي نصار، كانت أنفاسه غير منتظمة مما يدل على أنه كان في حالة ذعر، وكلماته متقطعة.

كان يقول:

"لقد دخلنا أحد الكهوف.. في الجبال.. عند ممر مِثْلا.. لنختبئ من قصف العدو.. وقد انفتحت أمامنا فجوة بداخل الكهف قادتنا إلى نفق.. لا أعرف ما الذي يحدث.. هذا المكان.. هذا المكان غير طبيعي.. الجنود في حالة ذعر شديد وأنا أيضًا.. لا أعرف كيف أصف ما يحدث.. المكان هنا مليء بالوهم.. لا أعرف إن كنتم تستقبلون الرسالة أم لا.. حاولوا إنقاذنا بأي طريقة».

نظرنا إلى بعضنا البعض في صمت وقد سيطر علينا التوتر والخوف، كأننا نتلقي رسالة حية من شخص يطلب المساعدة ويتعرض لخطر حقيقي، لا أعرف كيف أصف ذلك الشعور المتناقض، شعور بالانزعاج والحزن مختلط برد الفعل الفاتر لأننا نعلم يقينًا أن تلك الرسالة مضى عليها خمسون عام.

خرجنا من مكتب اللاسلكي ونحن واجمون نفكر فيما سمعنا وكل منا شارد في أفكاره.

وبينما كنا قد وصلنا إلى مكتب القائد مرة أخري لنستأنف الاجتماع إذ سمعنا صوتًا يصرخ من بعيد من ناحية الفجوة، فنظرنا فإذا بأحد الحراس الذين يقفون هناك يصرخ في فزع: سيدي..الضباب يتبدد، الضباب الذي يغلق الفجوة يتبدد!

فانطلقنا مسرعين حتي وقفنا أمام الفجوة.

لنتجمد في مكاننا من المفاجأة.





(٤)

وقفنا في مواجهة الفجوة وكأن على رؤوسنا الطير وقد اتسعت أعيننا ونحن نشاهد ذلك المشهد شديد الغرابة.

لقد تبدد الضباب وأصبحت الفجوة مكشوفة لنا تمامًا.

فرأينا هناك على بعد ذراعين من حافة الفجوة في الداخل ما يشبه الجدار السائل، كان جدارًا من سائل شفاف يشبه الماء يتموج ويملأ الفراغ ويسد الفجوة من أرضيتها إلى سقفها، بينما كان ما خلفه شيء يشبه النفق، إنه نفق على شكل أنبوب قطره حوالي مترين ونصف، كان الجدار السائل يتموج أمامنا قبل أن يثبت فجأة ما جعل صورة ما خلفه واضحة لتأخذ المفاجأة عقولنا.

وقفنا لدقيقة أو دقيقتين متجمدين من المفاجأة، فقد كان هناك شخص بالداخل.

كان هناك رجل يسير على مسافة من الجدار السائل، في منتصف ذلك النفق، كان يمشي بهدوء وحذر حاملًا مشعلًا يسترشد به ويسلطه على جدار النفق بجانبه كأنما يستكشف المكان.

عقدت تلك المفاجأة ألسنتنا، بينما صرخ يحيى محاولا النداء عليه، ووقف باقي الفريق الذي معي وقد أخذ الذهول عقولهم، وكان من الواضح أن صوت يحيى لم يصل إلى ذلك الرجل أبدًا، وبدا لنا الجدار السائل عازلًا أكثر من الباب الحجري، ومع هذا فقد كنا نسمع صوتًا غير واضح يأتي من الداخل، كان الرجل يبدو كمن يفحص جدران النفق الذي يمشي فيه، أو كتائهٍ يستكشف طريقه الذي يمشيه لأول مرة، وما هي إلا عدة لحظات حتى وقف ونظر في فزع نحونا فظنناه سمعنا، ثم عاد فانعطف لليمين بالداخل واختفي هو ونيران المشعل، فغرق النفق في ظلام دامس، وبقي لنا ذلك الجدار السائل.

صرخ السيد حجازي في الجندي: من هذا الذي دخل يا "عوض"؟ ومن سمح لأحد بدخول الفجوة؟

فرد الجندي عوض في خوف: سيدي لم يدخل أحد، كل ما حدث رأيته بعينيك، تبدد الضباب ثم رأينا ما رأيته، لا شيء أكثر من ذلك.

- هل تعني أن ذلك الشخص كان بالداخل من البداية؟
- لا أستطيع الجزم يا سيدي، فلعلك لاحظت ما لاحظناه جميعًا، إنه....

فنظر إليه حجازي نظرة حادة وقلص شفاهه وكأنما يقول له اخرس ولا تتكلم.

فتقدمت نحو الفجوة واقتربت من ذلك الجدار السائل.

فصرخ يحيى: أين تذهب يا سليمان؟

فقلت: أريد أن أعرف ماهية ذلك الجدار الغريب وما الذي يجعله على هذا الوضع؟

- ماذا تعني؟
- أعني أنه إذا كان سائلا كما يبدو لنا فلابد له أن يسيل ويجري، ما الذي يوقفه هكذا صانعًا جدارًا.
- ربما هناك زجاج.
- إذن سنرى.



اقتربت من الفجوة بحذر، كان الجدار السائل يبعد عن فتحة الفجوة من الداخل بمقدار ذراعين، فوقفت أمام الفجوة، كنت أستجمع شجاعتي لأقتحمها، فاستوقفني ذلك الصوت الغريب الذي كنا نسمعه والذي بدأ يعلو من الداخل، صوت بعيد كأنه شخص يقف على منبر ويصرخ في الناس خطيبًا، كأنه ينذرهم، يتوعدهم، ولكني لم أفهم كلمة،كان الصوت غير واضح والكلمات مشوشة تمامًا، وكان هناك أصوات أناس كثيرين، كأنهم يبكون ويصرخون، رجال ونساء، أدخل صوتهم على قلبي فزعًا وضيقًا، فوقفت قليلًا.

قلت لهم وقد أخذت الرهبة العزيمة من صوتي: هل تسمعون ما أسمع؟ ما هذا؟ أي سر لعين تخفيه هذه الفجوة؟

فصرخ يحيى: احذر يا سليمان، لم يدخل أحد من قبل ولا نعرف ما الذي بالداخل لقد كان هناك ضباب منذ قليل، وهناك ستة أشخاص ماتوا، لا نعرف إذا كان هناك شراك أخرى، أو شيء في الجدران.

فنظرت إليه خلفي وقلت له: يجب أن أعرف مادة ذلك الجدار.

وتقدمت ووضعت قدمي اليمني بداخل الفجوة، ونظرت إلى جدرانها من الداخل بجانبي ثم وضعت قدمي الأخري ووقفت بداخلها، حتي استقرت قدماي فنظرت إلى يحيى خلفي وقلت له: انظر، لا شيء، لا شيء هنا، لا ضباب ولا شراك، ليس هناك سيوف تخرج من الجدران، أنت متأثر باللعنات كثيرًا يا يحيى.

ثم التفتُّ لأتقدم نحو الجدار السائل، فإذا برمال الأرض فجأة تحتي تتحرك كالأمواج، وإذا بقدماي تنغرسان في الأرض بشكل سريع، وإذا بي في لحظة أغوص في الرمال كأني بين أمواج البحر وليس أرضًا رملية.

فصرخت: النجدة.. النجدة..

فاندفع الجميع نحوي وإذا بالضابط لبيب يقفز على حافة الفجوة ويمسك بالصخور في الخارج، ويمد يده ليمسك بي، وإذا بيحيى يتمدد على الأرض خارج الفجوة ويمسك بملابسي وإذا بجندي من الحراس يمسك في يده

حبلًا سميكًا ويلقي بطرفه نحوي، ويقول: أمسك هذا يا سيدي.

فأمسكت بالحبل بينما أخذ الجندي يجذبه ومعه حجازي، ثم أخذوا يجذبونني وحجازي يقول: تمدد يا دكتور سليمان بشكل أفقي فوق الرمال حتى لا تغوص أكثر.

كانوا يبذلون كل ما يستطيعون لإخراجي بينما كان الغضب والضيق يغليان في صدري من تلك الفجوة، فأصررت أن أعرف ما أريد، فمددت يدي بسرعة نحو الجدار قبل أن يتمكنوا من إخراجي.

كان كف يدي مواجهًا للجدار على مسافة سنتيمتر عندما شعرت بقوة سحب شديدة تجذب يدي نحوه، فارتعبت بشدة، فبدأت بسحب يدي بعيدًا ولكنه كان أقوي مني، فسحب يدي نحوه، فلمس كف يدي كاملًا ذلك الجدار السائل، فبدأ يتموج بشدة، كما تتموج مياه البحيرة إذا سقط فيها حجر.

وكأن الزمن قد توقف للحظات.

تباطأت فجأة حركة كل شيء، واختفت كل الأصوات من حولنا كأن الدنيا كلها ترقب ما يحدث، حتى الريح اختفى صوتها، بينما أصدرت التموجات في الجدار السائل نبضًا مكتومًا مع كل موجة، كان الصمت مطبقًا إلا من صوت تلك النبضات، ففزعنا جميعًا وتوقفوا لحظات عن جذبي من فزعهم، ثم استفاقوا فأحكموا قبضتهم على جسدي، وبينما كان الجدار يسحب يدي أكثر للداخل بقوة هائلة كانوا قد نجحوا في سحب جسدي بعيدًا عنه وعن الفجوة، وارتمينا جميعًا على الأرض أمامها في صمت وإنهاك مختلطان برهبة عارمة وذهول.

بعد دقائق بدأنا نتماسك، ونطمئن على بعضنا البعض، ثم قمنا

فقال يحيى: كنت أشعر أن دخول هذه الفجوة ليس سهلًا كما نظن وأن ثمة شيء خطير ينتظرنا،

فاستدرت وسألته بصوت مُنهك: هل سمعت الصوت الذي كان يصدر من الفجوة؟

يحيي: نعم.

- هل استطعت أن تحدد ما هو؟
- لا، ولكنه كان يشبه صوت رجل يصرخ في جماهير، ولكن الكلمات كانت غير مميزة.
- غريب جدًا، أصبحت أشعر بخوف حقيقي تجاه هذه الفجوة، كم كنت أتمني أن تكون مصيبًا في كونها لعنة، أخشي أنها أسوأ من ذلك بكثير!
- ماذا تقصد؟
- بدأت أوقن أن هذه الفجوة لم تصنعها أيدي البشر.

فقال يحيى: ماذا تعني؟

فقلت: ألم ترَ ذلك الرجل الذي كان يمشي وفي يده شعلة النار بالداخل، وحاولت أن تنادي عليه؟

- نعم رأيته وما الإشكال في ذلك؟
- ألم تتعرف عليه؟
- لا، هل تعرفه؟

فنظرنا جميعًا نحو يحيى أنا وحجازي ولبيب وعبد الملك نظرة طويلة صامتة ثم قال حجازي: جميعنا

عرفناه، أعرف أن هذا غريب جدًا، لقد كان هذا الشخص هو أنت يا سيد يحيى!

أمر حجازي بجهازي لاسلكي وأخذ واحدًا ثم أعطي الآخر لأحد الحراس الذي ناداه بـ «عوض» وقال له هو وجندي آخر يدعي «أنيس» يقف معه: عليكما بالوقوف هنا قرب الفجوة على مسافة آمنة، ومراقبة الفجوة جيدًا، وأي شيء غير طبيعي تلاحظاه انقلاه لي فورًا عبر هذا الجهاز، وتحريا الدقة البالغة في ملاحظة كل شيء، وسأرسل لكما اثنين بعد ثلاث ساعات يتبادلان معكما المواقع.

ثم نظر نحوي أنا ويحيى نظرة تحمل من الحيرة أكثر مما تحمل من الحزم الذي عهدته عليه منذ اللحظة الأولى وقال: هيا بنا يجب أن نفكر بشكل أسرع، لا أعتقد أن الوقت في صالحنا.

سرت إلى المكتب وأنا شارد العقل أفكر في كيفية ظهور يحيى أو ظهور شخص بالداخل يشبهه إلى حد كبير، كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ كيف لم يتعرف عليه



يحيى نفسه؟ بل يحيى حتي لا يصدق ذلك ويقول بأنه رآه شخصًا آخر لا يعرفه.

تذكرت وقتها حوارًا دار بيني وبين أحد أساتذتي في سنوات بحثي الأولي عندما كنا نتحدث عن السيطرة على الغضب، فسألني: هل تعرف ماذا يمكن أن يحدث لو قابلت نفسك في الطريق؟

فقلت له ساخرًا: سوف أعانقه وأقول له لا تحزن يا صديقي، واختر طريقًا آخر غير الذي تسلكه الآن.

فقال بابتسامة هادئة متأملة: بل ربما لن تتعرف عليه مطلقا، إذا قابل أي إنسان نفسه فربما هو الوحيد الذي لن يتعرف عليها.

فقلت: كيف؟

فقال: مبدأيًا نحن لا نعرف حقيقة أشكالنا بنسبة مئة بالمئة، فالصور الفوتوغرافية أو انعكاس صورنا في المرآة لا يشبهنا بهذه النسبة، حتي أن بعض الناس تتغير ملامحهم بطريقة ملحوظة في التصوير ويبدون أقبح من الواقع كثيرًا، فالصورة ليست هي حقيقة أشكالنا في الواقع، إنها فقط

تشبهها بدرجة مناسبة، ولكن الأمر الأهم وهو ما لا يعرفه الإنسان عن نفسه حقيقةً - إلا فيما ندر - هو شخصيته، ما يراه عليه جلساؤه، الحركات والإيماءات والالتفاتات، الأشياء التي تُعد بصمة شخصية وعاطفية وقنوات اتصال روحية بيننا وبين ذوينا، نحن غالبًا لا نعرفها عن أنفسنا، ربما حتى كانت هناك لزمات كلامية ثابتة لنا لا نعرفها عن أنفسنا ويعرفها عنا من حولنا، طريقة المشي، الوقوف، الإنصات، الابتسام، علامات الغضب والرضا على الوجه، حتى نبرة الصوت، كل هذا نحن نكاد نجهله عن أنفسنا حقيقةً، فقط الآخرون هم من يعرفونه عنا.

من يراقب نفسه جيدًا، هو من يعرف ما أقوله لك، هو من يعرف شخصيته وصفاته، وهو الشخص الذي يكون قادرًا على السيطرة على تلك الصفات وترويضها أو حتى تبديلها بالكامل، وهو الشخص الذي يستطيع إصلاح نفسه جيدًا.

إذا أردت أن تسيطر على أعصابك، غضبك، اندفاعك، فراقب نفسك جيدًا، وستشعر بعد فترة بأن شخصيتك الأخرى التي أردتك أن تقابلها تقف بجوارك، وعندما

تغضب ستجدها تهتف بداخلك..توقف، تماسك، اهدأ. عندها حتي لو قابلت نفسك في الطريق على غفلة ستتعرف عليها، هذا هو ما نقصده بالدرس النفسي الأهم في الحياة (إعرف نفسك)

دار هذا الحوار منذ سنوات ومر بلا اكتراث مني والآن أتذكره، بل أواجهه كحقيقة.

يحيى هو الوحيد الذي لم يتعرف على ذلك الذي كان يسير في النفق، بينما تعرف عليه الجميع بغير عناء.

وصلنا إلى مكتب القيادة، وأعدنا الاجتماع مرة أخري.

قلت: لدينا الآن معطيات جديدة أكثر تعقيدًا ونود أن نعيد ترتيب أفكارنا، لا أخفيكم سرًا، إن عقلي مشتت قليلا، ولكن الفكرة التي تسيطر عليه كما أعتقد أنها تسيطر على عقولكم هي وجوب وضع خطة عاجلة لاقتحام الفجوة..أليس كذلك؟

فرد يحيى: بالتأكيد..وهذه هي المعضلة.

قلت: لماذا؟

قال: يجب أن تكون هناك خطة عاجلة وعلى أكبر قدرٍ من التأمين، ولكن معلوماتنا عن طبيعة الفجوة صفر، وكما يبدو أنها شيء مختلف عما هو مألوف، فلم نعد نتعامل بعد مع مقبرة فرعونية، ولا نتعامل مع كهف أثري محتمل، نحن نتعامل مع شيء في تصوري أكثر تعقيدًا من مجرد كتلة صخرية محفورة أو ثقب في جبل، ليس لدينا معلومة واضحة يمكن أن نبني عليها أي تخمين بخصوص ما يحتمل مواجهته من مخاطر بالداخل، كيف نضع خطة لاستكشاف أمر على هذا القدر من الغموض والإبهام.

فرد المهندس عبد الملك: أرى أنكم لجأتم في السابق لتفسير ما يحدث على أنه خدعة، بينما في ضوء ما حدث منذ دقائق يجب أن نغير طريقة نظرتنا للأمور، فإذا نظرنا لكل ما حدث باعتباره حقيقي..بعيدًا عن المؤامرات والخدع فيمكننا الخروج باستنتاجات مختلفة، والتي يمكننا مؤقتا أن نعتبرها نظرية أو طرف خيط يمكن التمسك به إلى أن يثبت خطؤه.

فقلت له: تكلم.

عبد الملك: بناء على ما تقدم من استقبال رسائل من زمن ماض، وظهور طيور منقرضة يمكننا تكوين فكرة عن..آآآآآ..

- عمَّ يا سيد عبد الملك؟
- لا أعرف كيف أصفها ولكن هناك خلل معين في التسلسل الزمني لبعض الأشياء، أعتقد أن تلك الفجوة أحدثت خللاً زمنيا، فاستدعت أشياء من الماضي.

حجازي: استدعت أشياء من الماضي؟ وضح فكرتك أكثر إذا سمحت.

- لا أريد أن أبدو كمن يهذي ولكن الأمر يشبه......

يشبه بوابة زمنية..

فنظرنا إليه جميعًا نظرات مختلفة بين المستهزئ والمستنكر والمتحير.

فقلت له: سيد عبد الملك هل تدرك معنى الفكرة التي تطرحها جيدا؟

- نعم..
- معنى هذا الكلام أننا نتكلم عن السفر عبر الزمن وأشياء يتوقف عندها العقل والعلم والمنطق السليم، ويبدأ الخيال.
- أعتقد أن العلم لا بد له أن يتحلي بقدر من الخيال.. إنه ما يعطي روحًا للعلم ويطوره ويضيف إليه معنى.
- كلامك صحيح عندما نتكلم عن الفرضيات النظرية، نعم في الافتراض النظري لابد من خيال، ولكننا هنا نبحث أمر واقع مادي ملموس، ولا نملك رفاهية الفرضيات الخيالية، هناك فرق بين أن يتحلي العلم بقدر من الخيال وبين أن يتوقف العلم ويسيطر الخيال.
- هل تملك تفسيرًا لما نراه يأتينا من الماضي؟

فانفعلت وارتفع صوتي قائلا: ماذا تقصد؟ ما الذي تريد أن تدفعنا لتفسيره كالروايات، أتقصد رسالة مبثوثة لاسلكيا يدعي صاحبها أنه شخص قد تاه في الصحراء منذ خمسين عام؟ ولا نعرف حتي إن كان لايزال حيًا أم لا؟

هل تملك أنت دليلا على أن صبحي نصار هو بالفعل من كان يتكلم؟

هل تملك دليلاً على أنه مات بالفعل وليس حيًا ويطلب النجدة؟ بالمناسبة خمسون عامًا ليست بالمدة التي تضطرنا للاعتقاد بأنه ميت.

أم تقصد مجموعة من الطيور يدعي أحد العلماء أنها منقرضة وقد سقطت ميتة؟ هل تملك دليلا على أنها لم تسقط من السماء وأنها خرجت من الفجوة؟

هناك مئات التفسيرات التي يمكن اللجوء لها غير الخيال العلمي، هناك طرق عديدة لنسلكها قبل أن نلجأ إلى تفسير غير علمي يعتمد على نظرية نشأت أساسا في الروايات وأفلام هوليود، لا أعرف هل أنت عالم ومهندس اتصالات أم أنك فنان بوهيمي تخبط خبط عشواء.

- إلزم حدودك يا بروفيسور.
- كيف ألزم حدودي ونحن نتعرض لما تراه ولا نملك الوقت لنضيعه في هراء لمجرد ذكره على لسان شخص يدعي أنه عالم.

فصرخ محتدما: لا أسمح لك بهذا التجاوز.

فقاطعنا حجازي صارخا: رجاء اهدأوا جميعا، يجب أن نحافظ على هدوء أعصابنا كي نستطيع أن نخرج من هذا اللغز.

ثم نظر إلى عبد الملك وقد خفض نبرة صوته مجددا محاولاً السيطرة على انفعالاته وقال: حسنا يا سيد عبد الملك..أنت من لديه هنا خلفية في الفيزياء، يمكنك أن تخبرنا إن كان هذا الأمر ممكن علميا، أم أنه مجرد وهم خيالي؟؟

أريد منك كلمة نغلق بها الأمر أو نسترسل فيه، ورجاء ضع في حسبانك عامل الوقت، لا نريد إهدار الكثير من الوقت خلف أوهام.

عبد الملك: يا سيد حجازي المنطق السليم في حل المشاكل يقتضي أن نختار من التفسيرات المتعددة لأي عقدة التفسير الأكثر بساطة، والأبعد عن التعقيد والتكلف..فأقصر الطرق بين نقطتين هو الخط المستقيم، وأنا لا أنكر نظرياتكم، ولكني أرى لكل منكم وجهة نظر تفترض مقدمات تجعلنا نلتف في طرق وعرة في كل

مرة لنصل لنفس النتائج، وأنا أطرح نظرية أخري تفسر كل شيء ببساطة وبشكل مباشر وستصل لنفس النتائج، وأعتقد أنها جديرة بالانتباه، لقد كان لي اهتمام خاص بهذا الأمر منذ زمن الدراسة، وكثيرًا ما قرأت عنه وعن الأبحاث التي تدور حوله، وربما كان هذا هو سبب تكون هذه النظرية لدي الآن، أنا أقترح النظرية وأعتقد أن لدينا من المعطيات ما يدعمها.

حجازي: إذن هل تقول أن التنقل عبر الأزمنة أمر ممكن؟

عبد الملك: بالطبع إنه ممكن نظريًا، ولكنه أمر لم نختبره من قبل بشكل عملي، نحن فقط نحلم بإمكانية حدوثه، وكانت هناك تجارب كثيرة لصناعة آلات للتنقل عبر الزمن، ولكننا في كل الأحوال لا نعرف ماهية البوابة التي يجب فتحها لكي نعبر إلي زمن مختلف، وإذا كنا لا نعرف ماهي البوابة فهذا يجعلنا بعيدين تمامًا عن إمكانية فتحها بأنفسنا.

فقال حجازي بضيق: هل يمكنك أن تُبسّط هذا الكلام أكثر؟

عبد الملك: أعني أنه إذا كنت تريد أن تذهب إلى الإسكندرية مثلا يجب أن تعرف اتجاهك شمالا أم جنوبا أم شرقا ثم تحدد أي طريق سوف تسلك، وبالتالي تبدأ في السير في الطريق آملا أن تصل، أما إذا كنت لا تعرف الاتجاه من البداية، فربما تسير في اتجاه معاكس، وإذا مشيت في طريق خاطئ فمهما ازددت جهدًا في السير فسوف تزداد بعدًا عن المقصد.

في حالة البحث عن طريقة للتنقل عبر الزمن فنحن لا نملك بوابة، ولا نعرف ماهية البوابة التي يمكن أن تنقلنا إلى زمان آخر سواء الماضي أو المستقبل، هل هي بوابة فضائية، بوابة مائية، بوابة هوائية، نارية، افتراضية أم مادية، هل هي آلة تسير بسرعة عالية؟ في أي اتجاه يجب أن تسير؟ ولأي مدة ؟ لا نعرف. وبالتالي نجاح أي تجربة في هذا المجال متوقف على أن تصيب كل الاحتمالات الصحيحة في الوقت ذاته، لأن أي انحراف عن الصواب في أي خطوة من خطوات التجربة سينتهي بنا إلى نتيجة سلبية، لذلك فالطريق طويل واحتمالات الوصول هي واحد إلى مالا نهاية، فالحقيقة أننا جميعًا -العلم والفيزياء والفيزيائيين- مازلنا عاجزين تمامًا عن فهم الزمن.

الآن، هنا وعند هذه الفجوة بالتحديد قد حدثت أمور تدل على حدوث خلل في الزمن، أي أنها قد تكون قناة اتصال بزمن محدد، أو تكون مفترق طرق زمني.

حجازي: سأسأل سؤالا مباشرا وأريد أن أحصل على إجابة محددة إذا سمحت، هل هناك إمكانية للسفر عبر الزمن؟

فعاد عبد الملك: ليس في كل اتجاه

فقال حجازي: ما معني ذلك؟

عبد الملك: الأمر معقد.

يجب أن تعرفوا أن الزمن يبلغ من التعقيد درجة لا نستطيع معها فهمه بالكامل، نحن فقط يمكننا فهم أشياء عنه، الزمن -مثل الروح- من أمر الله، حتي ما يمكّننا قياسه زمنيا هو مرور الزمن وليس قياس الزمن نفس، الزمن شيء آخر أشمل من الدقائق والثواني.

إنه تبدل في الأحوال، وتغير في المكان والواقع والأحداث.

إنه أشبه ما يكون بالدَرَج الكهربي، يحمل الكون ويتحرك به رغما عن الجميع ومهما حاولت التوقف في أي محطة فلن توقفه، أو تعكس اتجاهه، سيمضي بلا أي اكتراث حتي نهاية الرحلة بالكامل، إنه الوسط الذي يحمل الكون في مصفوفته.

وهنا يمكنكم توقع مدي الصعوبة التي نواجهها في الأبحاث حول الزمن..

وبدون مقدمات طويلة، نحن نتحاور هنا عن السفر عبر الزمن ، الزمن نحن نعبر عنه مجازا بالماضي والحاضر والمستقبل وهذه محطات افتراضية لنرتب بها وقوع الأحداث، أما السفر فهو انتقال من موقع إلى موقع، فنحن نتكلم عن مكان أيضا، ولكن إذا افترضنا أن الماضي والحاضر والمستقبل هي مواقع يمكن التنقل بينها فأنت لكي تنتقل من موقع إلى آخر لابد للموقع الآخر أن يكون متواجدا في نفس لحظة انطلاقك في اتجاهه من موقعك الأول، فأنت إذا أردت الذهاب إلى محطة القطار يجب أن تكون المحطة موجودة، لها كيان ثابت وعنوان محدد،

وإلا إن كنت تسير نحو هدف غير موجود فلن تصل إلي وجهتك أبدا.

فقلت له: إذن لقد حسمت الأمر، فالمستقبل ليس موجودا لكي تنتقل إليه، ولا داعي لهذا النقاش؟

فقال: العكس هو الصحيح.

فقلت له: ماذا تقول؟

فقال: كما سمعت الماضي والحاضر والمستقبل كلهم متواجدين في نفس اللحظة.

حجازي: لا أفهم.

عبد الملك: حسنًا أنت الآن في الحاضر ويمكن لشخص ما -مهما كانت صفته- أن يطّلع علي المستقبل، ولا تعنينا الطريقة الآن، ولكن ما يعنينا أنه يمكن الاطلاع من شخص ما على المستقبل، بل يراه كما هو، ربما يراه في منام، أو ربما كان عرافا، أو حتى نبيًّا، كل هذا معناه في النهاية إمكانية الاطلاع على المستقبل، ونعود لنفس النقطة، أنت لا يمكنك أن تطلع على شيء غير موجود.

وهذا يعني أن المستقبل موجود الآن.

يحيى: حسنًا والماضي؟

عبد الملك: نفس الشيء، الحاضر هو مستقبل الماضي، ونحن متواجدين هنا الآن في نفس اللحظة التي تواجد فيها ماضينا، وكذلك نحن الآن ماض لما سيحدث في المستقبل، فالماضي والحاضر والمستقبل متواجدين في نفس اللحظة، نحن فقط نطلق الأسماء ماضي وحاضر ومستقبل «لنصف بها لحظاتنا التي نعيشها كما قلت، ولكن الزمن أكبر وأشمل من ذلك.

ولكن لنعد إلى مثال الدرج الكهربي، برغم وجود كل الأزمنة في وقت واحد إلا أن هناك اتجاه واحد لسير الأحداث، إلى المستقبل فقط، فإذا تمكنّا من السفر عبر الزمن فهذا سوف يكون للمستقبل فقط، لا يمكن الرجوع للخلف أبدًا، هذا أمر إجباري لا اختيار فيه.

يحيي: إذن العودة للماضي وتغيير أحداث المستقبل خيال علمي فقط؟

عبد الملك: طبعًا هذا أمر غير وارد نهائيًا، ليس خيالا فقط إنه ضلالات.

فقال حجازي: إذن فنظريتك هي أن الفجوة آلة زمن، أو مفترق طرق كوني بين الأزمنة؟

عبد الملك: ليس بالضبط، إنها أشبه بنقطة التحويلة على شريط القطار، يمكنها أن تصنع إنحرافًا في اتجاهك نحو المستقبل فقط.

حجازي: وهذا معناه أن ما يخرج من الفجوة هو من الماضي فقط، وليس من المستقبل؟

عبد الملك: ربما، هذه هي خلاصة استنتاجي وما يترجح لدي، ولكن ربما أكون مخطئا.

فرددتُ بعصبية: سيد حجازي أنا لم أعد مستعداً لسماع المزيد.

فنظر إليّ حجازي بهدوء قائلا: رجاء بروفيسور اهدأ واسترخي، فسوف نحتاج لبرودة أعصابنا في الساعات القادمة، لا تستهلك طاقتك في تلك العصبية.

ثم وجه كلامه للجميع: رجاء حاولوا الاسترخاء لنصف ساعة، وأعدوا كل ما نملك في هذا الموقع من أدوات يمكن أن نحتاجها، ففي كل الأحوال يجب أن يتم اقتحام الفجوة خلال ساعتين من الآن على الأكثر.



(٥)

قام حجازي من فوره متوجها للخارج..

وقام يحيى ليحضر لنا المزيد من القهوة والمياه وبعض الأوراق والأقلام وخرائط للموقع وكل المعلومات والأدوات المتوفرة في المكان.

وقام عبد الملك متوجها لمكتب اللاسلكي لمتابعة الوضع ومعرفة ما يتوفر من أجهزة ربما تلزم لرسم خطة اقتحام الفجوة.

بينما فوجئت بالضابط لبيب والذي وقف لعشر دقائق مترددا قبل أن يتقدم نحوي بلطف قائلا: بروفيسور سليمان أريد أن أتحدث معك قليلاً قبل أن يأتي أحد.

فقلت له: بالطبع ،تفضل!

فقال: أرجوك أريد وعدا منك بأن يظل الكلام الذي سأقوله لك سرا بيننا.

فقلت له: لماذا؟

فقال: لأن حجازي لم يخبرك، وقد كان يفترض أن يتحدث معك حول الأمر، إنه رئيسي المباشر ولا يمكنني التعديل عليه، ولكني أيضًا أرى من الأمانة أن تعرف، كما أنه من الحكمة أن يظل الأمر طي الكتمان حتى نعرف لماذا تم حجبه عنك حتي الآن.

فقلت: ماذا تريد أن تقول؟

فقال: يجب أن تعدني أولا.

فقلت له: أعدك.

فقال: أعتقد أن السيد عبد الملك ربما يكون محقًا.

فقلت: أنت أيضاً تقول ذلك؟ ما الذي دهاكم؟ لا أعرف كيف استرسل السيد حجازي خلف ذلك الهراء، والآن أنت أيضاً؟

فقال: بروفيسور أنت لم تسأل حتى الآن لماذا تم ترشيحك أنت بالذات لتشارك هذا الفريق في البحث حول الفجوة.

فقلت: لأني أعرف، لقد استدعوني لخبرتي في العمل الأثري، وأبحاثي حول اللغات وأسرار الحضارات القديمة.

فرد: سيدي إن تخصصك ليس نادرًا جدًا والسيد يحيي نفسه عالم آثار ذو خبرة كبيرة.

فقلت وقد بدأت الريبة تتسلل إلى قلبي: تقصد أن هناك سببًا آخر بعيدًا عن خبرتي المهنية ؟

فقال: نعم، وأعتقد أنه آن الأوان لتعرف، فالأمر كله لغز كبير، وأعتقد أننا نواجه شيئًا أخطر من كل ما نظن، ويجب أن تكون على علم بكل شيء لتتمكن من التفكير بشكل صحيح.

قلت متوترا: تكلم يا سيد لبيب، وضح أكثر.

فذهب إلى باب المكتب ونظر إلى الخارج ليطمئن أن لا أحد قادم ثم عاد وقال: عندما أخبرك حجازي عن رسالة صبحي نصار لم يخبرك بالحقيقة كاملة.

- كيف؟
- كانت رسالة صبحي نصار التي تكلم عنها هي واحدة من رسالتين تم استلامهما بفارق زمني عشر دقائق.
- رسالتين؟
- نعم.
- ممن كانت الرسالة الثانية ؟

فنظر إلى الأرض متوتراً ثم قال: هذا ما يُعقد الأمر كليًا ويحوله إلى لغز كبير، لقد كانت الرسالة الثانية منك أنت يا بروفيسور.

فقمت من مقعدي مفزوعًا وقلت: كيف ذلك؟ لابد أنها خدعة وقعتم فيها.

فقال: أرجوك اهدأ، نحن لم نكن نعرفك يا بروفيسور ولم نسمع عنك من قبل حتي استلمنا تلك الرسالة، كانت رسالة غريبة على موجة مختلفة عن رسالة صبحي نصار ولكن إحداثيات البث هي من نفس موقع الفجوة.

لقد فوجئنا برسالة موجهة من شخص مجهول يُدعى «سليمان الصواف» إلى شخص آخر مجهول بالنسبة

لنا، تحرينا عن الشخص الأول وعرفنا كل المعلومات حولك، أما الشخص الآخر فلم نستطع أن نعرف عنه أي شيء حتي الآن.

وبالنظر لما قاله عبد الملك تبدو هذه الرسالة مفهومة، لأنها بالفعل تبدو قادمة من المستقبل، أعتقد أن عبد الملك يمشي على الطريق الصحيح في البحث.

فابتسمت ابتسامة ساخرة رافضاً كل ذلك وقلت: لا يمكن، ما تقوله لا يمكن أن يكون صحيحاً، الأمر كله مرفوض، لا تزعج نفسك بهذا الشأن، هناك شخص يتلاعب بنا وأنا على وشك أن أكشفه لكم.

لقد جمعتُ شكوكي منذ حضرت هنا، و.....

فقال مقاطعا إياي ويده في جيب سترته مخرجا جهاز تسجيل رقمي صغير وقال لي: اسمع قبل أن تأخذ أي قرار، هذه هي الرسالة الثانية.

فنظرت له بقلة اكتراث.

فأومأ برأسه مشيرا إلى جهاز التسجيل ، ثم قام بتشغيله...

خفق قلبي رهبةً عندما سمعت الصوت الذي تم بثه في الرسالة، إنه صوتي بالفعل، كان من الممكن أن أزعم أنه تسجيل مزيف أو تقليد متقن لصوتي، لولا أن الرسالة حملت إثباتا دامغا، لتُلقي بي في دوامة الجنون.

كان الصوت واضحـًا يشوبه بعض التشويش، ولكنه مليء بالخوف والفزع، كان صوتي مختنقا ويقول:

"أنا سليمان الصواف..

لقد انفصلت عن الفريق الذي دخل الفجوة معي وضللت الطريق..

لا أعرف كيف حدث ذلك، لم أعد أعرف عنهم شيئا..

تشويش شديد ...

الأمر كما توقعته يا مختار، لقد كانت مخاوفك كلها حقيقية

تشويش بسيط.......

لقد تلاعبت بنا الفجوة،

و خرج الأمر كليًا عن السيطرة.

تشويش مع صوت ذبذبات إلكترونية غريبة....

كل ما أستطيع وصفه هنا هو صوت نقيق الضفادع الذي أسمعه تمامًا كما حدث في بيتي، هناك أشياء تتحرك حولي ولا أستطيع رؤيتها،

صوت نقيق ضفادع صاخب جدًا....

هناك سر غامض وأعجز تمامًا عن فهمه،

كل شيء يبدو مناقضًا للعلم والمنطق،

تشويش شديد جداً......

أنا أسير في متاهة لعينة من الأنفاق ولا أستطيع الخروج،

لست على ثقة أن هذه الرسالة ستصل، حاولوا أن....

تشويش شديد.....

أصوات صراخ مفزعة مجهولة المصدر ...."

صوت صافرة طويلة..ونهاية البث

رفعت رأسي في ذهول وشرود نحو لبيب..الذي نظر إليّ نظرة واجمة، ثم انحرفت بنظري إلى اليمين قليلا

لأرى حجازي الذي كان يقف على مدخل المكتب خلف لبيب مراقبا ما يحدث في صمت.

دخل حجازي من فوره ووقف صامتا، ينظر إلى لبيب الذي نظر إلى الأرض في خجل، فبادرت حجازي بالسؤال: لماذا لم تخبرني بأمر هذا الرسالة؟

فقال: لأني إذا أخبرتك فسوف ترفض دخول الفجوة، ونحن في أمس الحاجة إلى اقتحامها ومعرفة سرها،

فقلت له: أنا لم أكن لأدخلها من البداية مهما كانت الضغوط.

قال: هكذا كان تفكيري، ظننت أنه بإمكانك المساعدة في اقتحامها، المعلومات التي لدينا شحيحة والأمر يزداد تعقيداً كل لحظة، ومازلنا لا نعرف حتى الآن من هو مختار.

فقلت له بصوت مختنق: لو صدق ظني فأنا أعرفه.

ولم أكد أنهي كلامي حتي سمعت صوتا غريبا خلفي، فالتفتت لأفاجأ بخزانة الأوراق التي بجوار

المكتب مشتعلة بالكاملة، وقفنا وقد توقفت عقولنا عن العمل لثوان، ثم انطلق حجازي ولبيب محاولين إطفاء الحريق فعمدا إلى أنابيب إطفاء الحرائق، بينما وقفت أنا كالمشلول لا أصدق ما يحدث.

بعد دقائق كانت تلك النيران قد خمدت، ووقف حجازي ولبيب لالتقاط أنفاسهما.

قال حجازي وهو يستند إلى المكتب محاولا تهدئة أنفاسه المتسارعة: لا أصدق ما حدث، لقد اشتعلت النيران فجأة وفي الخزانة بالكامل دفعة واحدة، هل يمك.....

فقطع كلام حجازي تشويش شديد خرج من جهاز اللاسلكي المعلق في جانبه..فرفعه محاولا سماع أي رسالة، ولكن لم يأتِ أي صوت، فقال: عوض هل هناك شيء ما؟

ولكن لم تأته أي إجابة..

ثم فجأة سمعنا صوت ارتطام، ثم صوت الجندي الآخر زميل عوض وهو ينادي بأعلى صوته من مسافة قريبة من الجهاز: عوض عواااااض النجدة النجداااااة



ثم أمسك بجهاز اللاسلكي وقال: أدركنا يا سيد حجازي، إنها الفجوة، إنها تسحب عوض...

فخرجنا مسرعين نركض نحو الفجوة، ففوجئنا بأن الجو بالخارج أصبح معتما كأننا قبيل المغرب، وكأن غيوما سوداء تكسو السماء، أو قطع من الليل المظلم تغشي الشمس فجأة، فركضنا نحو الفجوة، لنجد الجندي زميل عوض جاثيا على ركبته بجوار سلاح زميله عوض، وينظر نحو الفجوة في فزع، بينما يصدر من الفجوة وميض متقطع كالبرق، صدر منها مرتين ثم اختفى وبدأت عتمة الجو في الزوال وعاد ضوء الشمس مرة أخرى.

فسقط الجندي فاقدا الوعي..



بعد دقائق كان الجندي قد استرد وعيه..فتنحينا به جانباً لنسعفه، كنت أنا ولبيب وعبد الملك ويحيي وحجازي حول الجندي الذي قال له حجازي برفق: أنيس، هل أنت بخير الآن؟

أنيس: نعم.



حجازي: ماذا حدث؟

فقال وهو زائغ البصر شارد العقل: لا أعرف، كل ما حدث أن شيئا مثل الغيوم الكثيفة بدأ يتكون في السماء فجأة، حتي أصبح الجو معتمًا ثم ازدادت عتمته أكثر وأكثر حتي أصبحنا وكأننا وقت الغروب، ثم فجأة ظهرت حلقات كبيرة جدًا في السماء، خمس أو ست حلقات ضوئية بيضاء بداخل بعضها البعض، وأخذت تخفت وتتوهج في حركة نابضة كأنها شيء حي، ففزعنا منها.

فنظرت أنا وعبد الملك ويحيي إلى السماء فإذا بتلك الحلقات البيضاء موجودة بالفعل ولكنها كانت خافتة التوهج، فأخرجت هاتفي سريعا والتقطت لها صورة.

فأكمل أنيس: ثم فوجئنا بضوء شديد جدًا يخرج من الفجوة، كان الضوء يملأ كامل الفجوة كأنها مصباح قوي، أعمت أعيننا فلم نستطع النظر نحوها، ولا حتى استطعنا أن نفتح أعيننا باتجاه ذلك الضوء القوي، ثم ثارت رياح قوية مثيرة للأتربة حولنا فأصبحنا مرتبكين للغاية، فقلت لعوض أن يخبرك بما يحدث، فأمسك عوض الجهاز بسرعة ورفعه نحو فمه ليناديي عليك، فاستوقفنا صوت

غريب للغاية يخرج من الفجوة، كان صوت آلة موسيقية يشبه صوتها صوت القيثارة، ولكنها تعزف نغمًا يقبض القلب، ثم فوجئت بعوض يقف متجمدًا، ثم ارتخى ذراعه الأيمن حتي سقط منه السلاح، ثم رفع رأسه فاتحًا عينيه ونظر نحو الفجوة رغم ضوئها القوي والرياح والغبار.

ثم ارتخى ذراعه الآخر فسقط جهاز اللاسلكي، فناديت عليه فلم يرد، كان يبدو مسلوب الإرادة تماما كما لو كان تحت تأثير تنويم مغناطيسي، ثم بدأ يتحرك في هدوء كالنائم في خط مستقيم مباشرةً نحو الفجوة.

ظننت أنه سيسقط في الرمال على حدود الفجوة كما حدث للسيد سليمان ولكن ما حدث عكس ذلك فقد كانت الأرض تحت قدمه متماسكة تماما، ثم ازداد الضوء شدة، وبدأ يصدر صوت زمجرة كالرعد من داخل الفجوة، بينما مد عوض قدمه نحو الفجوة ظهر الجدار السائل والذي كان يتموج بجنون، فاخترقه مندفعا كأنما تم سحبه بقوة من الداخل.

ثم انطلق وميض البرق الشديد مرتين، وانتهي كل شيء.

فقال حجازي: حسنًا يا أنيس، قم الآن وانتظر في العنبر بالخلف، وابق الأمر طي الكتمان، أنت تفهم ذلك جيدا؟

فقال: نعم بالتأكيد يا سيدي.

جلسنا دقائق على الأرض نفكر في صمت بينما قام لبيب لمعاينة المكان، بعد دقائق قطع حجازي الصمت قائلاً: الأمر يزداد سوءًا، لقد أصبح الآن.....

فقاطعه صوت لبيب ينادي في توتر: سيد حجازي أرجوك يجب أن تري ذلك.

فذهبنا جميعـًا حيث وقف لبيب في حالة من الشرود.

فقال له حجازي: ماذا هناك يا لبيب؟

فقال لبيب: لقد قال أنيس أن عوض تحرك في خط مستقيم مباشرةً نحو الفجوة، على ذلك قمت بتحديد المكان الذي كان يقف فيه عوض وقد كان هنا بالضبط.

ثم قمت بعزل جميع آثار الأقدام التي تتفق مع حذائه العسكري، وتتحرك في خط مستقيم باتجاه الفجوة، ووضعت هذه العلامات لرسم طريق حركته نحو الفجوة.

حجازي: جيد، هل توصلت لاستنتاج ما؟

لبيب: لا أستطيع أن أفهم، انظروا الآن إلى آثار أقدامه، هذه آثار الحذاء العسكري.

حجازي: نعم واضحة.

لبيب: الآن انظر إلى هذه الآثار!

ثم أشار بعصا رفيعة كان معه نحو آثار أقدام مفلطحة غريبة الشكل كانت ملازمة لخطوات عوض وملاصقة تقريبًا لآثار حذائه، مما يصعب معه الفصل بينهما خاصة أنها كانت مصاحبة لكل خطوة من خطواته وصولا إلى الفجوة، كان الأثر لقدم أعرض قليلا من المألوف، كما أنها أقدام عارية بلا أحذية، كانت الأصابع كلها تقريبًا بنفس الحجم حتي أنه يصعب تحديد القدم اليمني من اليسري كأنها أثر لقدم واحد فقط، ولكنها تشبه القدم البشري، ونظرًا لدرجة الانغراس الخفيفة للأثر في الرمال فبإمكاننا استنتاج أن وزن صاحب ذلك الأثر خفيف للغاية.

وقفنا حائرين لم يستطع أي منا أن يتكلم بكلمة.

لقد كان الأمر يزداد تعقيدا كل لحظة..

وبدأنا جميعًا نشعر بازدياد الضغط على أعصابنا، فالأمور الغامضة تتراكم كل لحظة وبلا أي تفسير.

فقال السيد حجازي: بروفيسور سليمان،أريد أن أتحدث معك

قمنا نمشي نحو المكتب وهو يقول: قلت إنك تعرف من هو مختار

فقلت: أنا فقط أعرف شخصا اسمه مختار..

حجازي: هل لديك سبب قوي يجعلك تظن أنه هو الشخص المقصود؟

فقلت: أعتقد ذلك، فذلك الشخص كان صحفيا، جاءني منذ عدة سنوات، وقال إنه يجري بحثًا دقيقًا عن الفراعنة وغرائب الآثار، وقد قرأ أبحاثي وأراد أن يعرض عليّ بعض نتائج أبحاث أجراها هو كأحد الهواة، وللحق كانت نتائجه جيدة جدًا خاصة بالنسبة لشخص غير متخصص في الآثار، وظللنا على اتصال فترة، وكان يطلعني على أبحاثه وما يتوصل إليه من نتائج، حتى اختفي فجأة ولم يعد يظهر أو يتصل بي أو يزورني، سألت

عنه فقيل لي إنه في مصحة نفسية، وقد أصابته حالة غريبة مثل جنون الاضطهاد، كان يتكلم عن أشخاص يطاردونه، ويهددونه بالقتل، وترك أبحاثه من أجل ذلك..

عندما كلمني السيد يحيى هذا الصباح عن اللغة السومرية المدونة علي اللوح، أول من تبادر إلى ذهني كان هو مختار، لأني أذكر مناقشات كثيرة بيننا بخصوص هذه اللغة، والشعب الذي ينتمي لهذه اللغة، فقد كانت تشغله بشدة..

فقال لي: حسنا فهمت، من أجل هذا تظن أنه هو؟

قلت: نعم..

حجازي: هل يمكننا استدعاؤه؟

قلت: أعتقد أننا يجب أن نذهب إليه فهو لا يخرج من بيته..

حجازي: ليس لدينا وقت لهذا ..يجب ألا نبتعد عن الفجوة..أنت تري ما يحدث..سنأتي به بالقوة..

أعطني عنوانه..





(٦)

أرسل حجازي في طلب مختار، وجلسنا نفكر محاولين أن نصل إلي أي تفسير لما يحدث..

عندما قال يحيى: هناك شيء أريد أن أصارحكم بخصوصه، لم أكن أريد أن أتكلم عن ذلك ولكن يبدو أن جميع السبل تضيق بنا ولا مفر من ذكر الأمر..

فقال حجازي وقد بدأ الإرهاق يبدو عليه: ماذا لديك يا سيد يحيى؟

يحيى: إن الأثر الذي اكتشفه السيد لبيب يضطرني إلي أن أفكر بتلك الطريقة، فكما قال المهندس عبد الملك، إن أقرب التفسيرات إلى الصواب هو الأكثر بساطة والأبعد عن التعقيد والتكلف، وأنا على يقين الآن أن أبسط التفسيرات لما يحدث ليس هو فجوة زمنية كما اقترحنا، وليس سلاحًا من الأجيال الحديثة..



فقلت له: وما الذي تعتقده الآن يا يحيى؟

فقال: أعتقد أننا هنا نعاني من اللعنة بمعناها الأكثر شرًا..اللعنة التي لا يعترف بها الأغلبية الساحقة من العلماء ولكن يعرفها العامة ويتحدثون عنها، لعنة تجلبها الشياطين، استدعي وجودها سحر أسود، الآن أيها السادة أنا أعتقد أننا في مواجهة نشاط شيطاني حقيقي.

حجازي: ما الذي يدفعك لهذا الآن يا سيد يحيي؟

يحيي: الأثر الذي رأيناه بجوار أقدام عوض استدعى في ذهني أحداثا وقعت منذ مدة ليست بالطويلة، وأعتقد أن من حقكم أن تعرفوها الآن حتي تتضح لكم الصورة جيدا..

حجازي: هات ما عندك

يحيي: وقع ذلك الحادث منذ قرابة عام ونصف، في إحدي القري في الصعيد، كانت مجموعة من المقابر الأثرية المكتشفة حديثًا قد فتحت في هذه القرية، بعد أيام قليلة من هذا الكشف الأثري عثرت امرأة في الثلاثين من عمرها على آثار أقدام غريبة غائرة بشكل ملفت للنظر، تشبه ما رأيناه في الخارج عند الفجوة،



حجازي: ما الذي حدث بالضبط؟

يحيي: بعد الكشف الأثري وفي مساء اليوم الثالث تحديدا شعرت تلك المرأة بحركة غريبة في بيتها، ثم سمعت أصوات نقيق ضفادع، فتتبعت الصوت والذي ظل يستدرجها حتي وصلت إلى باب البيت لتفاجأ به مفتوحًا فخرجت تنظر فإذا بها تري آثار أقدام ترتسم أمامها على الأرض كأن هناك شخصًا يمشي أمامها. شعرت بخوف شديد وهمت بالعودة إلي بيتها ولكنها سمعت صوت يناديها. كان الصوت غير واضح علي حد تعبيرها ولكنها شعرت بأنه اسمها، فتمادت خلف الصوت حتي وصلت إلي مكان مظلم قليلا، فوجدت علي الأرض طفلا رضيعًا غريب الشكل، كان شاحبا نحيلا لا يبكي ولكن يبدو عليه الجوع، قالت أن عمره كما بدا لها بين عام وعام ونصف، أخذته وأطعمته، ولكنها في الأيام التالية لاحظت أنه ينمو بشكل غير طبيعي، كان ينمو في أيام ما ينموه الطفل الطبيعي في شهور، ولكنه لم يكن يتكلم، وكانت لديه حساسية شديدة من ضوء الشمس، فكان يهرب طيلة النهار من ضوء الشمس حتي يأتي المساء فيكون نشاطه قويا، كما بدأت ملامحه تتغير، فاستطالت أذنه أكثر من

المعتاد، واتسعت عينيه بشكل ملحوظ، كان يبدو وكأنه مشوه أو يعاني من عيوب جينية.

وعندما كبر وبدأ نشاطه يكثر في البيت وحركته، بدأت هي تعاني من أعراض متعددة، ككثرة النوم، وامتناع الشهية، كما لاحظت أنها كانت تنام في فراشها لتصحو في اليوم الثاني في مكان آخر من المنزل.

فقلت له مندهشًا: ماذا تقول؟ أنا أعاني من هذا العرض منذ فترة طويلة.

فنظروا إليّ جميعـًا في اندهاش.

ثم قال حجازي في اهتمام: أكمل يا سيد يحيي.

فقال يحيي: بدأت الأحداث الغريبة تتصاعد وتخرج عن نطاق بيتها عندما بدأ يخرج ليلعب في الخارج، حيث بدأت القرية تعاني من جفاف الروافد المائية، وفساد المحاصيل، وحرائق غير مبررة تحدث بلا انقطاع في القرية وكأن هناك لعنة أصابتها، ثم بدأ الناس يعانون من أعراض مرضية غير مألوفة، وكأنها وباء ينتشر، كانت الأعراض تنحصر في بقع حلقية زرقاء على الجلد، ولون

أزرق في الأظافر، مع تساقط في الشعر، وبدأ يتناقل أهل القرية أن أطفالهم يستيقظون في الليل يبكون ويعانون من أحلام مفزعة، واشتكي بعضهم من سماع نداء في الليل، يسمعون من يناديهم بأسمائهم، كثر ذلك مع الوقت حتى بدأ يحدث في وسط النهار، وكان إذا سار أحد الأطفال وراء النداء فإنه يختفي ولا يعود..

في خلال شهر واحد اختفي من القرية ثلاثة أطفال، ففزع الناس، وانتشرت بينهم حكايات عن النداهة، وهي شيطانة تسكن المياه..

فلجأوا لأحد المعالجين الروحانيين، والذي أخبرهم أن في القرية شيطانًا ليس من البشر، في بيت امرأة يقع فوق مقبرة أثرية، حفرت تلك المرأة في البيت حتي انكشف لها باب المقبرة ففتحته فخرج ذلك الهلاك..

ونصحهم بصنع صندوق كبير هرمي الشكل من النحاس، وأن يعمدوا إلى ذلك الكائن نهارًا حيث أقل نشاط وقدرة له، يضعونه بداخل الصندوق ويضعون معه ضبعًا، ويغلقونه جيدًا وعند الفجر يلقونه في البحر..

صنعوا الصندوق وذهبوا جميعا إلى بيتها وقاموا باستخراج هذا الكائن الغريب، ووضعوه في الصندوق ومعه ضبع وأغلقوه بأقفال ثقيلة حتي الفجر، وعند الفجر حملوا الصندوق ليلقوه في البحر فشعروا بخفة وزنه، ففتحوه فوجدوه فارغا إلا من بعض الرماد، فألقوه كما هو في البحر..

ولكن المثير للعجب هو أن كل الظواهر التي كانت قد ابتليت بها القرية قد اختفت، وعادت الحياة لطبيعتها.

حجازي: أتقصد أن الأمر هنا هو نشاط شيطاني نتيجة لعنة فرعونية؟

يحيي: نعم بكل تاكيد.

فنظر حجازي نحوي: وأنت يا بروفيسور سليمان، ما هو موضوع الأعراض التي تعاني منها؟

فقلت: منذ فترة طويلة لا أعرف متي بدأت، وأنا أستيقظ من نومي في منتصف الليل لأجد نفسي في مكان آخر غير الذي نمت فيه، وقد توقفت هذه الأعراض منذ فترة حوالي ثمانية أشهر، ولكن بالأمس حدث الأمر

مرة أخري ولكن بطريقة غريبة، فقد كنت في طريقي إلى البيت عصرًا، وفجأة وجدت نفسي أستيقظ بعد منتصف الليل ملقى على وجهي في الطريق بعيدا عن طريق منزلي وعملي والطريق الذي كنت أسلكه بعدة أميال..

حجازي: وما الذي يمكن أن يسبب ذلك؟ ألم تستشر طبيبا بخصوص هذه الحالة؟

فقلت: كثيرا ما استشرت الأطباء ولكنهم قالوا أني ربما أسير أثناء النوم، وأنه اضطراب نفسي أو توتر شديد ونصحوني بالتزام الهدوء وبعض العقاقير المهدئة، وقد توقفت بالفعل هذه الأعراض لشهور، ولكن أيًا كان ما قالوه أو النتيجة التي أدت إليها المهدئات فذلك لا يفسر أبداً ما حدث بالأمس..

عبد الملك: هل ترى أن الاتفاق في ذلك العرض يدل على ارتباط بين الحادثين؟

قلت: هناك عدة أشياء مشتركة، ليس هذه فقط، فصوت نقيق الضفادع سمعته في بيتي بالأمس، وتم ذكره في تسجيل صوتي صدر من الفجوة، وسمعته المرأة، كذلك ارتباط الأمر بمقابر أثرية، فالفجوة كان يسدها بابا أثريا

وعليه نقش فرعوني، والمرأة في القرية فتحت بابا أثريا، وأنا عملي هو أن أقوم بفتح المقابر الأثرية، وقد فتحت العشرات والعشرات منها..

حجازي: لا أعرف أخشى أن ننجرف خلف خيال شيطاني

يحيي: يا سيد حجازي أنت تقاوم لأنك لا تصدق إلا بالأدلة المادية، طبيعة عملك جعلتك لا تقتنع إلا بالأدلة الواضحة، ولكن الأمر حقيقي..

حجازي: لا أنكر ذلك، وبالمناسبة نحن لن نستطيع أن نسترسل خلف ما تقولون، فهو لن يقودنا إلى أي شيء، بينما الاسترسال خلف الأدلة المادية الواضحة يرسم لنا طريقًا واضحًا نخطو عليه..

أما إذا كان الأمر نشاط شيطاني فأي طريق الآن لنسلكه؟

هل نأتي بشيوخ يقرأون لنا عزائم لفك السحر الذي انعقد لرجل علم؟ أو لحل سحر تم نثره في معسكر للقوات المسلحة؟

قد أوافقك علي ماتقول يا سيد يحيي ولكني للأسف لا أستطيع أن أسلك دربًا بناء على ذلك، ليس هناك طريق يقودنا إليه ما تقول، ربما ....

دخل جندي مقاطعـًا الحديث وقال: معذرة يا سيدي، السيد (مختار الرشيدي) وصل بالخارج..

فقال حجازي: أدخله..

دخل مختار الرشيدي، ففوجئت بهيئته، فقد كنت أعرفه جيدا، وما أثار دهشتي من هيئته أنه كان أقصر قامة من طوله الحالي، فوجئت به طويلا بشكل واضح وما أعرفه عنه أنه رجل متوسط الطول، غلب الشيب علي رأسه رغم سنه الصغير، وابيضت لحيته المتوسطة والتي كانت كستنائية اللون، وارتدي نظارة طبية لم يكن يرتديها من قبل، وبشرته البيضاء أصبحت شاحبة..

ألقى علينا نظرة واجمة فيها من القلق أكثر ما فيها من الترحيب، وضم يديه الاثنين إلى بعضهما في حالة خوف وعدم راحة، ولوح برأسه تحية لنا من دون أن ينطق بكلمة..

أجلسه لبيب على مقعد منفرد مواجها لمقاعدنا ثم قال حجازي له: سيدي أنا اسمي حجازي ومعنا هنا في هذا المكتب زميلي لبيب والسيد يحيى والمهندس عبد الملك والبروفيسور سليمان، أعتقد أنك تعرفه؟

فقلت له: كيف حالك يا مختار؟

فنظر إليّ نظرة طويلة: ثم لوح برأسه مجيبا.

حجازي: نحن نجتمع هنا بخصوص أحداث غامضة تحدث منذ يومين، و لأسباب متعددة فنحن نظن أن بإمكانك مساعدتنا في فهم غموض ما يجري، أو ربما بإمكانك أن تفيدنا ببعض المعلومات حول الموضوع،

فرد مختار بخوف وتردد: هل للأمر علاقة بتلك الحلقات التي ظهرت في السماء منذ ساعة؟

حجازي: هل رأيتها؟

فأشار برأسه بالإيجاب..

فقال حجازي: لا نعرف بالضبط هل لها صلة مباشرة بالموضوع أم لا ولكن أي حادث غامض وغير مفهوم اليوم أعتقد أنه على اتصال بموضوعنا..

مختار: ماذا تقصد؟

فنظر إلينا حجازي ثم عاد إليه قائلا: سأحكي لك ما حدث باختصار، هناك رسائل تم استلامها منذ يومين على اللاسلكي ولكن الزمن الفعلي المفترض لإرسالها كان منذ خمسين عاما، ورسالة أخري يفترض أنها من المستقبل.....

فانتفض مختار واقفًا في ذعر وقال: ماذا فعلتم..هل فتحتم بابًا ما أو ما شابه؟؟

فاندهش حجازي من ذعر الرجل المفاجئ وقال مرتبكًا: آآآ..نحن..لم نفتح..كان هناك فجوة تم فتحها..

مختار: إنهم هم، لقد شعرت بهم عندما وصلت هنا، إنهم متواجدون هنا..

ثم أخذ ينظر حوله في ذعر وكأنه يبحث عن شخص ما في المكتب..

فقال حجازي: سيد مختار أرجوك اهدأ..من هم الذين تقصدهم؟ لا يوجد أحد هنا..

فقال: هذا ما تظنه، إنهم يسمعوننا الآن، ويعرفون ما نتحدث بشأنه، هم دائما يسبقون بخطوة أو بخطوات، مادمت لا تعرف عنهم شيئا فأنت في أمان، فإذا ما اكتشفت حقيقتهم فقد أصبحت في خطر، هم لا يسمحون لأحد باكتشافهم أبدا.

حجازي: ولكننا نؤمّن المكان جيدا..

فقال مختار في أسي واضح وقد بدأت عيناه تدمعان: هذا ما يريدونك أن تعتقده، أعرف ما تقصد، أنت ضابط في جهاز المخابرات، سيدي أنا كنت جزءا من الجهاز، أعرف كيف تجري الأمور، ولكنك لا تفهم.

فاندهشنا جميعا، وقلت له: ألست صحافياً؟!

فقال وقد نظر إلى الأرض: كان ذلك غطاء جيدًا في الوقت الذي كنت أتردد فيه عليك يا بروفيسور.

حجازي: قلت أنني لا أفهم، فماهو الأمر الذي يَخْفى علينا هنا؟

فرد مختار في خوف وشرود: بينما تظن أنك بأمان يكونون هم قد تسللوا إلى أدق التفاصيل..

لن تصدق ما يمكنهم فعله، إنك حتى لتشك أنهم أصبحوا يسكنون في عروقك في مجري دمك، هم حولك دائما، بإمكانهم التخفي عن الأنظار، بإمكانهم التشكل في أي صورة، بإمكانهم حتى أن يتخذوا أشكالنا، لا تأمن لأي أحد من الآن، يمكن أن أتكلم معك بلساني وصوتي وتكتشف أن أحدهم يتخفي في صورتي.

فبدت علي وجه حجازي الصدمة كما كنا جميعا مصدومين، فبادر يحيي بالكلام: رجاء اهدأ واجلس

فجلس مختار قائلا: أعرف أنكم لا تصدقون، هذه هي لعبتهم التي يعتمدون عليها، صعوبة استيعاب أمرهم، ورفض الناس للتصديق، قد يصل الناس إلى قناعة أن الشياطين تتلاعب بهم، ولكنهم أبدا لايصدقون بوجود هؤلاء..

يحيى: أفهم من هذا أنك لا تعني الشياطين؟ لقد فهمت أنك تتكلم عن الجن!

فأشار مختار برأسه نافيا بعنف: لا..إنهم أكثر شرا من الشياطين، يا إلهي لا أصدق أني أتعرض لهذا مرة أخري..

ثم قام وقال: أريد أن أرحل من هنا، ونصيحتي لكم ارحلوا من هنا وانسوا ماحدث..

كنا نجلس واجمين لا نفهم عم يتحدث ولكن الذعر الذي بدا عليه كان صادقا لدرجة أننا بدأنا نشعر بالخوف، فقال حجازي: سيد مختار لقد توفي بالفعل خمسة من العمال، واحترق السادس حتى تفحم جسده، وابتلعت الفجوة التي كلمتك عنها أحد الجنود، نحن لا نملك خيارًا سوي مواجهة الفجوة..

فبدا علي وجه مختار حزن شديد وإحباط جم، فجلس على مقعده مرة أخري صامتًا مستسلمًا..

مختار: ماذا حدث؟

فقص عليه حجازي خلاصة ماحدث منذ يومين ثم قال: سيدي الآن أنت قلت إنهم هنا، ولن يسمحوا لأحد باكتشافهم، من كنت تقصد؟

فرفع بصره إلي حجازي وقد احمر وجهه قائلا: إنهم الشر القديم، الناطقون بالسومرية، من يظنون أنفسهم آلهة الأرض القديمة..

دخلاء من أرض غير الأرض وسماء غير السماء..

إنهم الرماديون...

فرفعنا أبصارنا نحوه في ذهول ثم قلت له: سيد مختار هل يمكنك أن توضح ما الذي تقصده؟

فقال: إنها قصة طويلة..

حجازي: يجب أن نعرف كل شيء يمكنك إخبارنا به، من هم الرماديون وكيف تعرف أنهم هنا؟ وكيف يسيطرون على الأمور بهذا الحد الذي تصفه؟

مختار: بدأت معرفتنا بهم منذ ست سنوات، عندما تم رصد هجوم من أجسام مجهولة على أحد النقاط العسكرية الحدودية، كانت تلك الأجسام كبيرة بشكل مزعج، وتأخذ أشكالا مختلفة..

حجازي: أشكال مختلفة؟ كيف ذلك؟

ظهروا في البداية على أشكال مثل الزواحف العملاقة، كانت أجسامهم ضخمة تملأ السماء، وتحجب الشمس كالغيوم، ثم بدأوا يظهرون على الأرض، في صورة أشبه

بالأشباح، أجسام معتمة سوداء وبيضاء، تهاجم الجنود وتتبدد على المتاريس كالدخان، كانوا يخرجون من جهة واحدة نحو الوحدة العسكرية..

فأرسل قائد الوحدة ثلاثة جنود استطلاع في اليوم الأول نحو هذه الجهة ولم يرجع منهم أحد، فأرسلوا في اليوم التالي فردين عاد منهم واحد فقط، ولكنه عاد مختلفا تمامًا..

عبد الملك: كيف؟

مختار: لن تصدقوا، لقد أصبح جسده أطول بقدر نصف قدم..

عبد الملك مذهولا: ماذا!

مختار: لم يتكلم ذلك الجندي بكلمة واحدة عندما عاد فأدخلوه غرفة للعزل حتي يتم استجوابه ولكنه لم ينطق بكلمة، لم يأكل ولم يشرب، ولم يجلس، ولم يكف عن التحديق بالجدار وكان وجهه مليئًا بالخوف..
حجازي: هذا غريب جدا!

مختار: هناك ما هو أغرب.

حجازي: ماذا؟

مختار: منذ بدأت تلك الأجسام تظهر وكل كلاب الحراسة المدربة أصابها الجنون، لم تعد تطيع الجنود، ولا تكف عن النباح طيلة الليل ولا تكف عن الحفر في الأرض طيلة النهار، أصبح الأمر جنونيا أكثر، حيث بدأت تهاجم أجسام غير مرئية، ظلت تُحدّق في الهواء ثم تنبح بشدة قبل أن تهاجم أشياء لا يراها أحد، ثم وجدوا ثلاثة منها وقد ماتت في الصباح بجروح سطحية غريبة غير غائرة، كأنها خدوش أو شيء مثل ذلك ولكنها ملوثة للغاية، ومنزوعة الألسنة والأعين..

فنظرنا إلى بعضنا في ذهول، إنه نفس ما حدث هنا..

ثم أثار الجندي المعزول الفزع حيث سمعوا في غرفته جلبة شديدة فانتقل الجميع فورا لغرفته ففوجئوا بفجوة دائرية كبيرة قد انفتحت في جدار الغرفة ولكنها فجوة مستوية الحواف كأنما صنعتها آلة حفر حادة.. كان يصدر منها ضوء أبيض شديد السطوع كأنما الشمس تقف على حافة الفجوة، ضوء قوي لدرجة تجعلهم لا يستطيعون النظر خلالها.

وقد وقف أمامها الجندي وهو يمعن النظر من خلالها في هدوء، فاقترب أحد الجنود من ذلك الجندي محاولا جذبه فصعقه جسد الجندي بصدمة كهربية شديدة اندفع معها للخلف ووقع علي الأرض فاقدا للوعي.

فتراجع الجميع خوفا مما يحدث، ثم فجأة بدأ يتحرك الجندي نحو الفجوة بهدوء شديد خارجا منها كأنه مُساق بغير إرادة، ثم اختفى الضوء فجأة وعاد ضوء النهار يدخل من الفجوة كأن شيئا لم يكن..

فقرر القائد الخروج بنفسه علي رأس فريق للاستطلاع ومعهم سيارة مدرعة وأسلحة كثيرة تحسبا لأي هجوم مباغت..

وما أن قطعوا ميلا واحدا حتى فوجئوا بالسيارة قد توقفت عن العمل تماما، بل كل الأجهزة الإلكترونية التي بحوزتهم، حتي الساعات اليدوية قد توقفت.

لم يكادوا يستوعبوا ما يجري حتى فوجئوا بعاصفة ترابية هائلة تقابلهم، كأنها ظهرت فجأة من العدم، ولم تلبث أن أدركتهم في الحال.

كانت الرياح شديدة تقترب من الإعصار.

وتصاحبها دوامات هوائية عاتية..وظهرت في السماء حلقات كتلك التي ظهرت اليوم منذ ساعة.

فظنوا أن وجودهم بداخل المدرعة سوف يحصنهم ولكنهم فوجئوا بأن الرياح ترفع المدرعة من على الأرض.

ظلت العاصفة قرابة العشر دقائق حتى انتهت تماما ولكنهم كانوا قد أصابهم الإرهاق والاختناق وبعضهم فقد وعيه.

فقام القائد باستعادة نشاطه وترجل من مركبته وجمع فريقه المكون من سبعة جنود وقرر السير على الأقدام لاستكمال المهمة.

وبعد خمس دقائق من السير فوجيء الفريق بأفراد الاستطلاع الذين أُرسلوا منذ أيام ولم يعودوا يقفون في وسط الصحراء وقد رفعوا رؤوسهم إلى السماء، كانوا يقفون بشكل ثابت لا يهتزون للريح ولا يصدرون أي حركة، فاندفع الجنود نحو زملائهم ليفاجئوا بالكارثة.

لقد كان الجنود عبارة عن هياكل عظمية..

يقفون كما هم بملابسهم وخوذاتهم الحربية ولكن أجسادهم قد تحللت وبقيت هياكلهم، كانوا ينظرون إلى شيء مجهول.

فاستدار القائد وجنوده عائدين بسرعة وهم في حالة ذعر حتى إذا اقتربوا من مقر الوحدة خرج جنود من القاعدة ومعهم ضباط متوجهين إليهم وهم في حالة دهشة شديدة..

ثم توجه أحد الضباط إلى القائد قائلا: حمداً لله على سلامتكم، لقد يئسنا جميعًا من عودتكم، كيف نجوتم بعد كل هذا الوقت؟

فقال القائد: عم تتكلم؟؟ لم نغب أكثر من نصف ساعة. فوقف الضابط والجنود في دهشة ثم قال الضابط مترددا: سيدي، لقد مضي ثمانية أشهر منذ أن خرجتم..

كنا نسمع القصة التي يحكيها مختار ونحن متحجرين على مقاعدنا لا يرتد إلينا الطرف من هول ما نسمع، ولولا أننا تعرضنا لأحداث مشابهة ماكنا لنصدق أبدًا..

فقال عبد الملك: هل تقصد أنهم مروا بداخل فجوة زمنية أفقدتهم الشعور بالوقت..أم أنهم مروا من بوابة أرسلتهم إلى زمن مستقبلي؟ أقصد هل مر عليهم الوقت ولم يشعروا أم أنهم لم يعيشوا تلك الثمانية أشهر أصلاً؟

مختار: لا أعرف وإن كان قد تم ترجيح أنهم لم يعيشوا تلك الثمانية أشهر أصلا، لأنهم عادوا بنفس الهيئة التي خرجوا بها، لقد قفزوا ثمانية أشهر دفعة واحدة..

حجازي: أكمل يا سيد مختار، الرماديون، ما علاقتهم بذلك؟

مختار: هل سمعت عن تجربة قوس قزح أو ما يعرف بتجربة فيلادلفيا؟

حجازي: نعم ولكني لم أهتم بها كثيرا.

فقال عبد الملك: نعم أنا أعرفها جيدا، ولكنها تجربة تم نفيها من قبل الجيش الأمريكي، إنها مجرد شائعة سخيفة.

مختار: غير صحيح، فبعد حادثة النقطة الحدودية تلك تم تكليفي بمهمة غاية في السرية من الجهاز، كانت المهمة هي استكشاف المشروع السري الأمريكي، ومدي ارتباط

ذلك المشروع بالحادثة السابقة، وكانت مهمتي تقتضي تتبع المشروع الأمريكي للوقوف على الحقائق المرتبطة بنظرية المؤامرة، كل ما يمكن معرفته عن ذلك المشروع مدعوما بالوثائق الممكنة.

وكانت تجربة فيلادلفيا هي البداية، فقد فسرت تلك التجربة كل شيء.

فهذه التجربة أنكرتها البحرية الأمريكية كما تفضل المهندس عبد الملك، وتنصلت منها الإدارة الأمريكية، وكنت مقتنعا بأنها مجرد شائعة لإثارة الخوف والذعر من القدرات الأمريكية، ولكني اكتشفت أنها تمت بالفعل.. وكان ذلك بالنسبة لي هو البداية..

عبد الملك: هل تمت بالفعل؟ هل قاموا بإخفاء سفينة فعلا؟

مختار: نعم لقد نجحوا في إخفاء سفينة كبيرة بكامل طاقمها، ولكن تبعات التجربة كانت كارثية..

عبد الملك: كيف؟

مختار: الفكرة كانت بسيطة جدا..وهي تسليط مجال كهرومغناطيسي شديد على السفينة، ولكن ما حذر منه الفيزيائي «نيقولا تسلا» والذي أشرف على التجربة قد حدث بالفعل، فالنتائج على البشر كانت غير متوقعة..

في البداية تكونت سحابة ضباب أخضر اللون حول السفينة ثم تبدد الضباب بعد عشر دقائق وقد اختفت السفينة، ولكنها عندما ظهرت كانت الكارثة قد حدثت، فقد وجدوا طاقم السفينة جثثا متفحمة، ومنهم من وجدوا جسده وقد اندمج مع جسد السفينة بشكل مثير للرعب، فأصيب العديد ممن رأوا نتائج التجربة بصدمات عصبية ونفسية أدت بهم إلى الجنون..

حجازي: سيد مختار، لم أفهم حتي الآن ما هو دخل الرماديين بالمسألة؟ حتى الآن أنت تدعم نظريتي عن السلاح المتطور الذي نواجهه..

مختار: هل تظن أن أمريكا ابتدعت التجربة ؟ هل تظن أن الطفرة العلمية التي نعيشها في هذا العصر هي من صنع البشر؟؟

حجازي: ماذا تقصد؟

مختار: الرماديون هم مصدر كل شيء، هم من يملكون السر، تكنولوجيتهم وراء كل تطور وصلنا إليه الآن، هذه كانت مهمتي وهذا ما اكتشفته..

حجازي: رجاء أخبرنا ما تعرف بالتفصيل..

مختار: بدأ الأمر كله في منتصف القرن الثامن عشر عندما تم العثور على مخلفات مركبات غريبة محطمة في أنحاء مختلفة من العالم، وبدأت طائفة كانت قد تكونت وقتها على أساس عقائدي في تتبع هذا الحطام والبحث عن مصدره حتى توصلوا إلى مرادهم في عشرينيات القرن العشرين، كانت تلك الطائفة تسمي «البافاريين» وهم من عبدة الشيطان، وكان الاكتشاف الذي توصلوا إليه هو أن هذه المركبات تعود إلى جنس غير بشري، يدعون أنفسهم آلهة سومر، من تكلموا باللغة السومرية القديمة، ولكنهم كانوا ذوي بشرة رمادية اللون، فأسموهم الرماديين..

حجازي: تقصد كائنات فضائية؟

مختار: هذا هو الاكتشاف الثاني، لا يوجد فضائيون على الإطلاق..

حجازي: لا أفهم..

مختار: لقد ظن البافاريون أن الرماديين قادمون من الفضاء لأنهم كانوا يأتون في أطباق طائرة، ولكن الحقيقة التي اكتشفوها لاحقا هي أنهم جوف أرضيين..

عبد الملك: ماذا؟

مختار: اكتشفوا أن هناك أرضًا في جوف أرضنا تعيش بها كائنات مختلفة عنا تماما، مختلفة في الشكل وطريقة التفكير وتسبقنا كثيرًا في التطور الحضاري والتكنولوجي..

هؤلاء هم مصدر كل مانراه من آثار قديمة شديدة التطور، هؤلاء قد سبقونا على الأرض قبل أن يتم استبدالهم، وتُعطي الفرصة لبشر من طين ليعمروا الأرض..

كان الرماديون يزورون الأرض بشكل سري لعقود طويلة، يقومون فيها باختطاف بعض البشر لإقامة تجارب معينة عليهم، فكما عرفت عنهم أنهم قد انقطعت أنسالهم، كجزء من اللعنة التي ألقاها الله عليهم، مع نفيهم إلى تيه كتيه اليهود، ولكنه في جوف الأرض، فأرادوا استخدام البشر ليتكاثروا، كما كانوا يطورون طرقًا عدة للاختفاء

التام أو التخفي في أشكال البشر، فهم يريدون الصعود لامتلاك سطح الأرض مرة أخري..

حجازي: سيد مختار اعذرني ولكن ما تقوله يصعب تصديقه..

فصمت مختار قليلا ثم قال: أنا رأيت وسمعت وعلمت، أما أنت فلم ترَ شيئا، وبالتالي فعليك أن تختار ما تصدق، أن تختار ما تؤمن به..

حجازي: لماذا تقول ذلك ؟

مختار: لأنه لا يمكن إجبار أحد علي اختيار معين، أو إكراهه على قناعة ما، فالقناعة ليست علم فقط، إنها اختيار..

فالإيمان بما لم تره هو اختيار، نحن نري العالم بنفس العين ونختلف حول حقيقة ما نراه، لذا علينا الاختيار، فعليك أن تختار جيدا، لأن ما تختاره اليوم هو ما سيشكل حياتك غدا وفي كل وقت، اختياراتك اليوم ستحدد لك لاحقا ما تأخذ وتترك من الدنيا غدًا، هي ما ستحدد الثمن الذي ستدفعه، أو الجائزة التي ستحصل عليها،



حجازي: ولماذا يتوجب عليّ الاختيار أصلاً إذا لم يعنيني الأمر كله؟

مختار: الحياة هي مجموعة اختيارات، أنت تري العالم كما نراه، ولكن لا يجب أن تثق دائمًا في عينك، فأنت تحتاج لأكثر من العين أحيانًا لتري..

فشئت أم أبيت هناك آلاف المشاهدات علي مر العصور والتي تجزم بوجود أشياء تفوق التصور، تفوق العلم والتقدم، كائنات لا علاقة لها بجنسنا البشري، لا يمكنك إنكار وجود طائرات مروحية ودبابات بين النقوش الفرعونية في أبيدوس، ولا يسعك إنكار وجود رواد فضاء بين النقوش في بابل، أطباق طائرة علي جدران أثرية..الآلاف ممن رأوا وسمعوا وتكلموا عن الرماديين وآلاف قالوا بأنهم تم اختطافهم، لابد لك من اختيار وإلا حكمت علي نفسك أن تحيا في غيبوبة بين من عاشوا في زمانك.

حجازي: حسنًا العلم يقول بالفضاء، والمنطق يقود للفضائيين..

مختار: الفضاء هو خدعة منطقية، هو نموذج واحد من نماذج متعددة للكون، هو ما يتم إخبارك به فقط، يخبرونك عنه ويلحون عليه..ويجبرونك على اعتناقه، فكلما كانت الكذبة كبيرة كلما كانت أقرب للتصديق، ويخفون عنك النماذج الأخري، في حين أن الأمر كله غيب، ابحث عن نماذج أخري للكون و ستجدها وستجد أدلة القائلين بكل نموذج، وكما قلت لك عليك أن تختار، الفضاء هو اختيار إجباري فقط عندما لم تكن هناك اختيارات أخري..

ولكني الآن أتيح لك اختيارا آخر، نظرية أخري أكثر اتزانًا وقبولاً، وأقرب إلى تفسير الظواهر، وأشمل في الجمع بين كافة النصوص والمرويات الدينية والتاريخية..

هو اختيارك في النهاية، أنت حر في التصديق والتكذيب..

فقلت له: أكمل يا مختار..

مختار: تطور «البافاريون» مكتشفوا الرماديين، إلى طائفة أكثر شراسة وعنصرية وهم النازيون، وتوصلوا إلى اتفاق مع الرماديين على أن يكتموا عليهم وجودهم، ويمدونهم بكل ما يلزمهم لإجراء تجاربهم ويسيطرون على العالم من خلال ألمانيا..

في مقابل ذلك فإنهم يتبادلون معهم التقنيات الحديثة في العلم والتكنولوجيا والتسليح، فكانت نتيجة ذلك أن سبقت ألمانيا العالم كله، واحتلت نصف العالم وكادت أن تنهي كل شيء..

وقامت ألمانيا بالفعل بتصنيع أطباق طائرة ولكنها لم تكن في طور الخدمة عندما انتهت الحرب، وفر من الألمان الكثيرون نحو جوف الأرض، بينما خرجت الأطباق الطائرة من القطب الشمالي تدافع عن حلفاءها الألمان..ففوجئت بها المقاتلات الأمريكية والروسية، هذه قصة مشهورة في نهاية الحرب العالمية الثانية.. لقد دمرت الأطباق الطائرة الكثير من مقاتلات القوتين العظمتين، وعجزوا عن مواجهتهم تماما..

فعادت أمريكا وروسيا إلي ألمانيا وقاموا بأسر مجموعة كبيرة من العلماء والاستيلاء علي كل ما توفر من الوثائق الخاصة بمشروع ألمانيا..

بعد نهاية الحرب قامت أمريكا بإرسال أدميرال يُدعي «ريتشارد بيرد» ومعه قوة استطلاع جوية إلي رحلة للقطب الجنوبي لاستكشاف وجود أراضي بعد الكتلة الجليدية

وهو ما أكده ريتشارد بيرد وكرره علي مسامع العامة في لقاء تليفزيوني..

قامت أمريكا برحلات أخري نحو تلك المنطقة ليكتشفوا فجوة كبيرة وعميقة جدا..كانت هي مدخل الأرض المجوفة..

تزامن ذلك مع وقوع حادثة روزويل والتي أعطت فرصة كبيرة لأمريكا لاكتشاف ذلك الجنس المخالف للبشر وقاموا بتشريح أحد الرماديين..وقد تم تسريب التسجيل المصور وعرضه علي التلفاز..

فأنكرته أمريكا تماما، وقامت - باسم دول الحلفاء جميعًا - بإجراء اتفاقية تسمي معاهدة (جريادا) مع الرماديين..

عبد الملك: هل هذه المعاهدة حقيقية؟

مختار: نعم وهي أهم وثيقة حصلت عليها وألحقتها بالتقرير الذي كتبته، فقد نصت المعاهدة علي أن يتم التعتيم علي وجودهم تماما، وأن لا يعلنوا عن أنفسهم وأن تعطيهم تلك الدول ما يحتاجونه من بشر لإجراء

تجاربهم عليهم في سياق تبادل تقني تمهيداً للسيطرة علي العالم..

وبناء على ذلك أنشأت أمريكا وكالة ناسا لتكون واجهة مناسبة لظهور طفرة تكنولوجية، وأقامت المنطقة واحد وخمسين في صحراء نيفادا، وأنفاق «دولسي» تحت الأرض، وادعت الصعود للفضاء لصرف أنظار الناس عن جوف الأرض إلي الفضاء، وأُحكمت المؤامرة بين الدول العظمي الكبيرة عن طريق حكومات العالم الخفية، من أجل السيطرة علي العالم واستأثرت أمريكا بنصيب الأسد من التكنولوجيا، مما أحدث طفرة كبيرة في التطور التكنولوجي والبحث العلمي حتي وصلت لما نراه اليوم..

كما تم إنكار حادثة روزويل فجأة، والسكوت المطبق علي رحلات ريتشارد بيرد..

وها نحن اليوم، فُتحت فجوة مجهولة بشكل خارج عن إرادة الجميع، ولكن لا أعتقد أن الأمر سينتهي علي ذلك..

حجازي: ماذا تقصد؟

مختار: قلت لك إنهم لا يريدون أحداً أن يعرف بوجودهم

حجازي: ولكننا الآن نعرف..

مختار: وهذا ما حذرتكم منه، لم ينبغِ لكم أن تعرفوا.. وهم الآن يعرفون أنكم قد اطلعتم علي وجودهم.. ولهذا فلن يتركوكم أبداً..

عبد الملك: سيد مختار، أنت كنت تعلم بوجودهم.. ولم يفعلوا بك شيئا..

مختار: غير صحيح، من أخبرك بذلك؟

عبد الملك: ها أنت أمامنا

مختار: أنا ومعي اثنين من الضباط الكبار جميعًا تنحينا عن العمل بمحض إرادتنا، أو هكذا قلنا..

حجازي: لم نعد نفهم شيئًا، لماذا ؟

مختار: قمنا بكتابة تقرير مفصل أرفقنا به كافة الوثائق التي حصلنا عليها، ولكنهم لم يكونو ليتركوا لنا الفرصة لفضح الأمر، لقد أُحرق الملف..



حجازي: ومن الذي أمر بإحراق هذا الملف؟

مختار: لا أحد..حريق غامض شب فجأة في أحد المكاتب والذي كان الملف بأحد أدراجه، وانتهي الأمر ولا أحد يفهم كيف نشب ذلك الحريق..

فنظر إليّ حجازي ولبيب وقد ظهر الفزع علي وجوهنا، فقد تعرضنا لحادث حريق غامض منذ قليل..

فقال مختار: لقد عاهدت نفسي ألا أتكلم، اتُهمت منذ سنوات بالجنون وإضطراب العقل عندما تكلمت ووقتها عرفت أني قد تم إغلاق فمي للأبد، فمهما تكلمت لن يصدقني أحد، وأُلقي بي في مصحة نفسية لثلاث سنوات..وكان ذلك بديلا منصفا لتصفيتي جسديا لأني لم أطبق فمي على ما أعرف..

فقال حجازي بصبر نافد: يا سيد مختار لماذا تركت عملك واخترت الصمت؟

مختار: هل ستصدقوني؟

حجازي: ألم تلاحظ أن من يجلسون في هذه الغرفة يصدقون كل كلمة تقولها؟

مختار: أجبرت علي ذلك..

لبيب: أجبرك جهاز المخابرات علي التقاعد؟

مختار: لا، إنهم الرجال ذوو الملابس السوداء..

فقلت له وقد نفد صبري: سيد مختار أنا متأكد أنك لا تقص علينا أكاذيب ولكن ما تقوله.....

فقال مختار وقد ملأه الحزن: أنتم الذين تسألوني، لم أرد التكلم من أجل هذا، اسمعني الآن قبل أن يتخلصوا مني..فقد بات الأمر وشيكًا بعد أن تكلمت..قد يصفونني جسديا في أي وقت، وربما لن أكون وحدي

حجازي: تكلم يا سيد مختار..

لقد كتبت تقريري في الجهاز، قضيت ليلة وصولي من الخارج كاملة أكتب واملأ ملف القضية بالمستندات والصور والأدلة التي رأيتها وسمعتها بنفسي وحصل عليها زملائي، وتركتها في مكتبي للصباح لأقدمها في الاجتماع الذي كان مقرراً عقده مع أرفع القادة في الدولة..

وكانت هذه هي آخر مرة أري فيها مكتبي..

عندما عدت في تلك الليلة الرهيبة إلي بيتي، دخلت لأفاجأ بأشياء غريبة ..

لقد فوجئت بما لم أتصوره أبدا، كانت مفاجأة تشل التفكير..

عندما دخلت المنزل وأضأت النور، شعرت بشيء غريب في المنزل، ولكني بعد لحظات بدأت انتبه لما حولي، فوجئت بأن كل الأغراض المعدنية التي تتواجد في شقتي معلقة في الهواء وتدور حول نفسها..

كانت أمامي منضدة عليها أدوات المائدة، كانت أدوات المائدة تطفو فوق المنضدة في الفراغ، ودورق مياه موضوع علي المنضدة، كان الماء به يغلي بجنون وفوران شديد، وتلك الكرة الأرضية الزينة التي أضعها علي مدخل غرفة الاستقبال مرتفعة في الهواء وتدور حول نفسها بسرعة، بل كل الأجسام الكروية أو البيضاوية كمتعلقات الزينة وألعاب الأطفال تطفو وتدور حول نفسها، ثم بدأت أشعر بصداع خفيف ودوار..

كل هذا كنت أعرفه جيداً بعد رحلتي الأخيرة..



إنهم هم..لقد جاءوا هنا..لقد سبقوني إلي منزلي..

كل ما كنت أخشاه وقتها هو أن يمسوا زوجتي وأبنائي بسوء، فدخلت غرفة الجلوس مسرعا لأبحث عنهم.. فإذا بشخص غريب يجلس علي مقعد في غرفة الجلوس وقد أداره ناحية الجدار، كان يجلس بلا أي حركة وينظر إلى الجدار المقابل..

كان رجلا طويلا نحيفا ولا يوجد شعر في رأسه أو وجهه، يرتدي بزة سوداء وقميص أبيض وربطة عنق سوداء ونظارة سوداء، وقبعة سوداء، ما أن رأيته حتي خشيت علي زوجتي وابنتيّ، فأخرجت مسدسي فورا وسلطته عليه، وقلت له: من أنت؟ قف؟

فتحرك بهدوء شديد جدا ووقف ثم نظر نحوي، فشعرت بالمسدس في يدي حرارته ترتفع حتي أصبح ملتهبا كالجمر، تحملت ذلك قليلاً حتي كادت يدي تحترق، فرميته من ألم الحريق ذلك وأمسكت بيدي أنفخ فيها، ففوجئت بالمسدس معلق في الهواء لا يقع أرضا، فاقترب مني ووقف علي مسافة ذراع ثم قال بصوت شديد

الغلظة، كأنه صوت آلة وليس صوت إنسان: كل شيء رأيته وسمعته وكتبته سوف ينتهي هنا وفي هذه اللحظة..

فقلت له: ماذا تقصد؟

فقال: لقد أجهدت نفسك كثيرا، وهناك طريقتان للراحة، إما أن تنسي كل شيء، أو تنتهي حياتك الآن..

ثم فوجئت بعينيه من خلف عدسات النظارة المعتمة التي يرتديها تتوهجان بلون أحمر

فصرخت بصوت مرتفع مناديًا زوجتي وأبنائي، ففوجئت بصوتي لا يخرج من حنجرتي إلا همسا، لا أستطيع الصراخ..

فقال: لا أحد سيسمعك..

فقلت له بصوت هامس: ماذا فعلت بهم؟

فقال: حتي الآن لم نفعل شيئا، ولن يبقي الأمر طويلا، كله مرهون بتصرفك..

فقلت: ماذا أفعل؟

فقال: تتوقف عن الملاحقة، تنسي ما رأيت وسمعت..



حجازي: لماذا سكتّ ماذا حدث بعد ذلك؟

مختار: لم يحدث شيء، استيقظت في الصباح وأنا ملقي علي الأرض..

فقمت مسرعًا إلي تسجيل كاميرا المراقبة التي أخفيها، لأفاجأ بأنها سجلت كل ما حدث ولكن..

عبد الملك: ولكن ماذا؟

مختار: ولكن ماظهر في التسجيل أنه عندما اقترب مني لم يكلمني، بل ما تم تسجيله هو أنه أمسك برأسي وأنا كنت أقف أمامه بلا حراك كأني تحت تأثير تنويم مغناطيسي، أمسك برأسي قليلا ثم استدار ورحل، وما أن رحل حتي سقطت كل الأغراض التي كانت تطير في الهواء علي الأرض، بينما ظللت أنا أتحرك وأدور في المنزل بطريقة غريبة وكأني أمشي وأنا نائم، في الحقيقة كنت أبدو كالممسوس، ثم وقفت فجأة وسقطت علي الأرض في المكان الذي استيقظت فيه..

عندما عدت إلي العمل في اليوم الثاني فوجئت بأن مكتبي قد احترق بالكامل ولم يبق منه سوي رماد،

وكاميرات التسجيل أظهرت أنه بسبب حريق شب فجأة في أحد المقاعد قبيل الفجر بلا سبب واضح، وعندما أخبرت رؤسائي عن التقرير لم يصدقني أحد، لا سيما وقد احترقت كل ورقة تثبت كلامي، وعرفت من الضباط الذين كانوا معي في العملية أنهم تعرضوا لشيء مشابه..

ثم بدأت اتهامات بالاضطراب تثار حولنا، فعرفنا أننا نتعرض لحالة من التكميم التام، وإذا أصررنا علي موقفنا فلن يصدقنا أحد وربما نُلقي في مصحة نفسية أو ربما حتي يتم تصفيتنا من هؤلاء الرجال ذوي الملابس السوداء..

فتقدمنا باستقالتنا وجلست وحيداً في الظلال، ولكني لم أنعم بلحظة من الهدوء..

حجازي: لماذا؟

مختار: لأن زميليّ قد اختفيا بعدها في ظروف غامضة ولم يظهرا حتي اليوم..

حجازي: ماذا؟ كيف ذلك؟

مختار : لأنهم لم يكفوا عن الحديث حول الأمر لمعارفهم وذويهم..فقد تخلصوا منهم

- من هم؟
- الرماديون..
- أهم يراقبون الناس عن قرب لهذا الحد
- إنهم متوغلون في كل شيء وأي شيء، إنهم يمشون بيننا ويتكلمون بألسنتنا، يأكلون كما نأكل، ويتخفون في أي صورة يريدون، أو يقومون بإخفاء أجسادهم بالكامل..أتعرف كيف؟ ألم تستيقظ في يوم لتفاجأ بجرح على موضع في جسدك كنت قد رأيته يُجرح في منامك..
- نعم
- إنهم هم..

ألم تستيقظ يومًا في مكان غير الذي نمت فيه، غرفة أخرى أو حتى على الأرض؟

- نعم
- إنهم هم..

ألم تلاحظ تغير في أوضاع أشياء في بيتك أو مكتبك أو حتى في سيارتك وكنت متأكدا أن أحدا لم يعبث بها؟

- نعم
- إنهم هم..

ألم تختفي أشياء من بيتك لتعود وتظهر في وقت لاحق، أو حتي لا تظهر على الإطلاق؟

- نعم
- إنهم هم..

لا تستبعد أن يكون منهم بيننا الآن ويستمعون لما نقول ويعدون للخطوة التالية..

فنظر حجازي لنا جميعـًا بارتياب..

فقال يحيي: سيد مختار ما تقوله هو ما يعرفه الناس بالنشاط الشيطاني؟ هل تريد أن تقول أن الرماديين هم الشياطين..

مختار: الشياطين قدراتهم محدودة ولا يملكون أن يشيعوا في عالمنا ذلك الخوف الذي يلصقه بهم الناس وهم منه براء، إنها تلك اللعبة التي يجيدها الرماديون باحتراف شديد..

فقلت لحجازي الذي شعرنا بريبته واضحة: سيد حجازي هل تشك أن أحدنا فضائيًا؟

فقال مختار بحزم: جوف أرضي..

فانتبهت فجأة قائلاً: سيد مختار، لقد نبهني شك السيد حجازي لأمر هام، قلت إنك عندما دخلت بيتك عرفت أنهم قد وصلوا، كيف عرفت؟ كيف نعرف إن كانوا متواجدين حولنا أو يراقبوننا؟

مختار: العلامات تكون وفقًا للتقنية التي يتخذونها في التخفي، منها ما تبدو منه علامات واضحة ومنها ما لا يبدُ منه أي علامات..

- إذن فما عليهم سوى أن يستخدموا التقنية التي لا تظهر العلامات دائما.
- لا، هم يستخدمون تقنيات على حسب توفر المواد اللازمة أو الظروف الملائمة، كما أنهم يظهرون علامات وجودهم عندما يريدون ذلك..
- وضح أكثر، ماذا تقصد؟
- أقصد أنهم إذا استخدموا تقنية تمكننا من الاستدلال على وجودهم فذلك لأنهم يريدون أن نعرف أنهم

متواجدون..

دعني أوضح لك، التقنيات التي تستخدم في التخفي التي نعرفها هي إما تسليط الإشعاع الكهرومغناطيسي علي أجسادهم، أو استخدام خصائص النانو تكنولوجي لسبيكة من الكروم النقي، أعني أنهم يرتدون دروعًا أو بزات مطلية بتلك السبيكة في صورتها النانو..

إذا استخدموا تقنية الإشعاع الكهرومغناطيسي فإنك سوف تجد المعادن في مكان تواجدهم تتصرف كما لو كانت تحت تأثير مجال مغناطيسي، ستجد تأثيرًا حراريًا على الأشياء من دون أن تشعر بالحرارة حولك. وتأثيرا كهربيًا من دون أن تشعر بالتيار، فهم يستخدمون الكهرباء اللاسلكية..

- لا أفهم كيف ذلك؟
- ستري ربما أجهزة كهربية يتم تشغيلها بشكل تلقائي، أو مصابيح كهربية ترتعش، ربما بعض الأنواع الرديئة من البلاستيك تنصهر أو ربما حتي تشتعل، تري حرائق غير مبررة..

فنظرنا إلي بعضنا البعض في دهشة، لقد فسر كل الأحداث التي نعاني منها منذ يومين..

فقال مختار: ماذا بكم ؟

فقال يحيي: لقد كان هناك حريق غريب هنا بالمكتب اليوم، اشتعلت خزانة الأوراق وحدها..

فقلت لمختار: ماذا إذا استخدموا دروع سبيكة الكروم؟

فقال: إنها تعمل على تحييد طيف الضوء المرئي، إنها تجعله ينحرف ويلتف حولها فلا تقع تحت مجال إبصار أعيننا، وهذه تجعلنا لا نراهم إلا في الظلام أو الضوء الخافت ويظهرون في صورة ظلال كأنهم أشباح، فإذا ما سلط عليهم الضوء يختفون تماما.

- ألا يوجد أي شيء يمكننا الاستدلال به على وجودهم في تلك الحالة؟
- لا، ربما في بعض الأوقات قد تسمع صوتهم ولكن ليس دائما..
- أصواتهم؟

- نعم، هناك بالطبع أصوات يمكنك سماعها ولكنها مربكة فلا تستطيع الجزم بأنها أصواتهم، فهي كصوت أوراق الشجر، وأحيانا صوت طرق معدني، وأحيانا كأصوات الحشرات
- أي حشرات؟
- أغلب الأحيان يكون صوت جنادب الحقول أو صوت نقيق الضفادع..

ففزعنا جميعـًا عندما ذكر نقيق الضفادع..

فقلت له: وإذا تخفي أحدهم في صورة واحد من البشر فكيف نعرفه؟

فقال: هذا هو أصعب شيء، هنا لا بد أن يحدث خطأ، وتراه وهو يحدث، كتغير في شكل العين مثلا، أو نوع من الخلل يحدث في أي مكان من جسمه فيفقد تخفيه وتشبهه بأجسام البشر..

وما كاد مختار ينهي كلامه حتي صرخ لبيب: حريق!

فنظرنا فإذا بباب المكتب الذي نجلس فيه يشتعل، وفي لحظة واحدة بدأ الحريق يمتد بصورة سريعة في محتويات



المكتب، فقمنا مسرعين ولكن لم يكن الوقت كافيًا، فقد أمسكت النيران بكل محتويات المكتب فجأة كأنها كانت غارقة بالكيروسين..

كنا نقف وسط الحريق الذي يلتهم كل شيء في لحظات ونحن في قمة الذهول، فلم يشاهد أحدنا حريقا بهذا الحجم وهذه السرعة الخاطفة، وانتبهنا من ذهولنا علي صوت الجنود بالخارج وهم يحاولون إخماد النيران التي أمسكت في كل شيء، في ذلك المبني والمبني الآخر المجاور..

خرجنا جميعا بعد أن فشلنا في السيطرة على الحرائق، وأنقذنا أجهزة اللاسلكي في اللحظات الأخيرة.. وخرجنا بها للخارج، وأخذنا الجنود جميعا ووقفنا جانبا نلتقط أنفاسنا بعيدا عن دخان الحريق الخانق..

صرخت فيهم جميعا: أنا لن أكمل هذه القضية، لقد رأيت في بيتي أمس كل ما قاله مختار من علامات، إنهم في بيتي، لابد أن أحمي عائلتي، زوجتي وابني..

أنا راحل...

أخذوا جميعـًا ينادونني ، فناداني مختار من بعيد قائلا: بروفيسور أخشى أنك لن تستطيع الانفصال عن هذه المجموعة..

فعدت له وقلت: ما الذي تقصده؟ ماذا سيمنعني؟

فقال: إنها مجرد مخاوف، يمكن أن تسميها حدسًا، لا أظن أبداً أنك ستُترك وشأنك..

قلت: وضح ما تقول وكفى ألغازًا..

قال: أتمنى أن تطمئن على عائلتك، ولكنني غير متفائل، أنت متورط الآن مع كائنات لا تُكن أي رحمة للبشر..

لم أرد عليه، فقط التفتُّ منطلقـًا لأستقل سيارة..

أخذ حجازي يسعي خلفي حتي وصل إليّ وقال: لن أمنعك عن حماية عائلتك، إذا أردت التنحي عن تلك القضية فلن أمنعك، لا يملك أحد أن يمنعك، وسأرسل معك سيارة توصلك لتطمئن على عائلتك، وإن كنت أتمني أن نحظى بمساعدتك معنا، ولكن على كل الأحوال يجب أن يبقى الأمر سريًا.



كنت متوترًا إلى حد الجنون فلم أرد عليه، أومأت له برأسي ثم ذهبت فأخذت سيارة من سيارات القوات المسلحة قامت بإيصالي إلى منزلي...

لأفاجأ بالكارثة.....



(٧)

كنت أصعد درجات السلم إلى منزلي وأنا أُكذّب نفسي..

لقد كانت هناك منذ اللحظة الأولى أصوات جنادب تملأ فناء المنزل، وأسمعها ترتفع في كل لحظة أصعد فيها نحو منزلي..

فتحت باب المنزل لأفاجأ بالفوضي تعم المكان، لا أعرف ما الذي جعل البيت في تلك الفوضي ولكني فوجئت بحوض الأسماك الذي يقع في مواجهة الباب في حالة اضطراب، اقتربت منه لأكتشف أن ماءه يغلي، والأسماك التي بداخله ميتة وتتقلب مع الماء الذي يفور ويفيض خارج الحوض..

يا إلهي، إنهم هنا..

مشيت ببطء شديد تحت الأضواء المرتعشة لمصابيح البيت، كنت أفكر بشكل سريع ومرتبك في زوجتي وابني ماذا حدث لهما؟ وما الذي يمكن أن أفعله الآن لأحميهما وأحمي نفسي من هؤلاء؟ وما الذي يريدونه مني حتى يأتون إلى بيتي؟

كنت أسير بحذر وسط أغراض بيتي الصغيرة التي كانت معلقة في الهواء حولي، كل شيء معدني معلق في الهواء كأننا داخل مجال مغناطيسي، وكل الأجسام الكروية تدور حول نفسها ..

طفت البيت كله ..

هذا ما كنت أخشاه...

إن زوجتي وابني غير موجودين..

لقد اختطفهم الرماديون...

وقفت وقد ملأت الدموع عيني، ولا أعرف ماذا أصنع، فأخرجت الهاتف من جيبي ونظرت إليه، كنت أفكر في الاتصال بزوجتي لعل ظنوني في غير محلها، حاولت أن أفتح الهاتف، ففوجئت به لا يستجيب، كأنه معطل تماما.

وقفت حائرا لدقائق..ثم فجأة إذا بالهاتف يُفتح تلقائيًا وبدأت قوائمه تُفتح ويتم استعراضها بشكل سريع وجنوني، كأنما أصابه فيروس ما، ثم انفتح برنامج مشغل الفيديو وبدأ يستعرض مقطع فيديو غريب..

بدا الهاتف كأنما يتم التحكم فيه من شخص ما عن بعد..

ثم فوجئت بجهاز التلفاز خلفي يُفتح فالتفتُّ نحوه فإذا بنفس مقطع الفيديو على الهاتف يُعرض على التلفاز..

بدأ المقطع بظهور غرفة غريبة بها ضوء خافت للغاية لون جدرانها رمادي لامع أو فضي، كأنها جدران من المعدن، وفي وسط الغرفة منضدة كبيرة موضوعة ومسلط عليها ضوء خفيف من الأعلي، ثم انطفأ ضوء الغرفة الخافت وبقي الضوء فوق المنضدة..

ثم حدث تشويش في الصورة لثانيتين ثم اعتدلت، فإذا برجل وامرأة وطفل يجلسون إلى المنضدة في حالة ثبات ووجوم كأنهم تحت تأثير التنويم المغناطيسي، كان موقعهم بعيدًا في الشاشة وكانت الكاميرا التي تصورهم



تقترب ببطء منهم كل لحظة، كانت ردود أفعالهم بطيئة للغاية تكاد تكون معدومة، فقد كانت هناك أحداث تحدث فجأة حولهم بلا ردود أفعال تُذكر، كصوت طرق عنيف مفاجئ، ثم صوت صراخ، ثم صوت انسياب تيار مائي، ثم سكنت كل تلك الأصوات وظهر صوت آلة موسيقية غريبة كأنها قيثارة يأتي صوتها بعيداً ولكنه واضح، ثم اندفع من قاعدة الطاولة إلى الأعلى فجأة ثلاثة سكاكين ظهرت واحدة أمام كل واحد منهم بشكل رأسي.. ثم هبط من سقف الغرفة ثلاثة أذرع آلية، يحمل كل منهم طرف حاد جدًا أخذت الأذرع تهبط ببطء، ذراع فوق رأس كل منهم، فلم يزد عليهم سوي أنهم اعتدلوا علي مقاعدهم..

عندها كانت الكاميرا قد اقتربت منهم بشكل كافٍ، كاف لأراهم بوضوح ويتجمد الدم في عروقي..

إنهما زوجتي وابني، والرجل الثالث معهما هو جندي بملابسه الحربية، إنه عوض..

بدأت دموعي تسقط بشكل لا إرادي ولا أعرف ماذا أصنع، وقد زاد صوت القيثارة التي تعزف بهدوء

من شعوري بالحنق وإحساسي بسادية من يصنع ذلك المقطع، فناديت بصوت مرتفع: أرجوكم أنا هنا خذوني واتركوهم لا تؤذوهم، أنا مستعد لأي شيء..

وإذا فجأة وبسرعة خاطفة اندفعت الأذرع وانغرست الأطراف الحادة في رؤوسهم الثلاثة..

ثم قُطع المشهد بشاشة سوداء وصافرة حادة جدًا، ثم ظهر مشهد آخر لهم الثلاثة كل منهم على فراش، ثم صرخ الفتى الصغير، فقامت زوجتي فاحتضنته، وقام عوض فجلس على فراشه، ثم أخذ الثلاثة ينظرون إلى شيء مجهول عن يمينهم ويصرخون في فزع، بينما كان في اليمين ضوء يتوهج رويدًا رويدًا مع ازدياد صرخاتهم، هناك شيء مجهول يقترب منهم، ثم اختفي المشهد وجاءت الشاشة السوداء والصافرة الحادة مرة أخري.. وانتهي المقطع..

جثوت على الأرض شاردًا أحاول التفكير في أي تصرف، وأخذت أهدئ من نفسي وأنظم أنفاسي لتنتظم دقات قلبي ويبدأ عقلي في ترتيب الأفكار من جديد..

قلت لنفسي هذا الأمر خارج عن المألوف ويجب أن أفكر بطريقة غير مألوفة..

هؤلاء الرماديون، بإمكانهم أن يأخذوني، إنهم هنا ولكنهم لا يفعلون..

لقد أخذوا زوجتي وابني..

وقد عرضوا عليّ ما يفعلونه بهم..

هذا معناه أنهم يريدون أن يخبروني أنا شخصيًا بشيء ما...

يا ربي، إنهم يريدوني أن أذهب بإرادتي، دون اختطاف..

ولكني بالفعل حاولت حول الفجوة، فلم تأخذني بينما أخذت عوض..

ولكن لماذا؟ وما المميز فيّ أنا بالذات ليتم اختياري؟

ما الذي كانوا يفعلونه بزوجتي وابني؟

لقد كانوا متبلدي الإحساس في البداية ثم تم إدخال الإبرة في المخ، ثم ظهروا وقد عاد إليهم الوعي..

هل معني هذا أن الوخز بتلك الإبر أعاد إليهم وعيهم، كذلك لم يكن صوت القيثارة موجودًا..

لقد سمع الجندي أنيس صوت القيثارة قبل أن يتم سحب عوض داخل الفجوة..

يا إلهي..هل تلك القيثارة هي وسيلة التنويم المغناطيسي؟ ما الذي يريدونه؟ ليس هناك وقت لأضيعه..

كم أردت تجنب ذلك ولكن لا مفر، يجب أن أذهب الآن..

نزلت مسرعا، وتوجهت فورًا إلى المعسكر المغلق بجوار الفجوة..

دخلت عليهم فوجدتهم في حالة شرود، نظروا إليّ جميعًا في دهشة شديدة..

فقلت: أنا على استعداد الآن لدخول الفجوة..



توجهوا إليّ جميعًا بنظرات التعجب..

فنظر نحوي مختار قائلا: هل أدركت ما قلته لك؟

قلت: نعم ، الأمر كما توقعته يا مختار، كل مخاوفك كانت حقيقية

ثم انتبهت لنفسي، تلك الجملة التي قلتها هي نفس الجملة التي قيلت في الرسالة..

ما معني ذلك؟

نظر نحوي حجازي ولبيب وقد انتبها لما انتبهت له، فقال حجازي: لعل ذلك يغير من النتيجة التي نتوقعها من دخول الفجوة..

ثم قال يحيي: ماذا حدث؟

فقصصت عليهم كل ما جري ببيتي..

ثم قلت لمختار: لماذا أنا؟ ما الذي يريدونه مني..

فقال: أنت قلت أنك تتعرض لحالات الانتقال بين الأماكن بينما أنت نائم، أليس كذلك؟

قلت: نعم

قال: هذه أقوي علامات الاختطاف

قلت له: أي اختطاف؟ أيتم اختطافي من قبل الرماديين؟

قال: نعم، وغالبًا ستجد علي جسدك علامات زرقاء داكنة في أماكن متفرقة وبلا أسباب واضحة..

قلت: هذا حقيقي

قال: الاختطاف عادة يحدث منذ الصغر، نادرًا ما تبدأ حوادث الاختطاف لشخص كبير لم يكن يُختطف في صغره، المشكلة أن المختطف يصاب بفجوة في الذاكرة، لا يتذكر أبداً لحظات اختطافه ولا التجربة التي مر بها، قد يبدو الأمر أحيانًا مثل الأحلام، أو تجربة ال دي جا فو، أو ما يسمي بتجربة الرؤية المسبقة، فأنت تتعرض لتجربة ما وأنت في كامل وعيك فتظن أنك قد مررت بنفس التجربة من قبل..

أو تتذكر التجربة التي مررت بها أثناء اختطافك ولكنك تتذكرها كحلم فقط، وبالرغم من أنك قد تجد علي جسدك أثر إصابة حدثت لك في ذلك المنام إلا أنك لا تربط أبدا بينهما..ولا يمكن لعقلك الواعي أن يتصور أنك قد مررت بالتجربة في الواقع..

قلت: هل تظن أني ...أني

قال: نعم، أنت دخلت الفجوة من قبل، وكذلك السيد يحيي..

قلت له: ولكن لماذا أنا بالذات يتم اختطافي؟

فقال: لا أحد يعرف بالتحديد ما هي معايير اختيار الأشخاص للاختطاف، ولا التجارب التي تتم، ولكن أسطورة الاختطاف تتحدث عن ذوي الدماء الزرقاء..

فانتبه الجميع لما يقول والتفوا حوله في اهتمام..

يحيى: ماذا تقول؟

مختار: تُطلق هذه الكلمة عادةً كمجاز للتعبير عن طبقة النبلاء، أبناء الطبقات العليا في المجتمع، ولكن في الحقيقة أصحاب الدم الأزرق حقيقيون، ولكنهم نادرون في العالم، لا يمثلون أكثر من اثنان بالمائة من سكان الأرض، وحسب ما يقال عنهم أنهم أكثر سكان الأرض مقاومة لقوي الرماديين، ويرجع السبب لأنهم في الأساس ينحدرون من نسل الرماديين..

فقلت له: ولكن زوجتي وابني ليسا كذلك، لم يتعرضا لاختطاف أبدا، لماذا اختطفا الآن؟

مختار: لا أعرف، ولكن لندعو أن يعودا، فهناك عدد ممن تم اختطافهم لم يعد أبدًا..

قلت: لن أتخلي عنهما ..

مختار: وأنا سأساعدك بكل ما أستطيع..

بعد دقائق كنا قد تجمعنا بداخل خيمة تم نصبها علي مسافة قريبة نسبيًا من الفجوة بدلاً من المكتب الذي احترق، وأخذنا نراجع ما ناقشوه في غيابي..

قال حجازي: كنا نتحدث بخصوص ما يمكن عمله بهذه الفجوة، وكانت الخيارات المتاحة هي اقتحام الفجوة..أو تدميرها..

فقلت: لا، لقد أُخذت عائلتي وأنا لن أتراجع حتي أدخل الفجوة، إما أن أجدهم أو ألحق بهم بلا عودة..

فقال حجازي: نعم أعرف هذا وأقدر ما تقول..وقد حاولنا بعد أن رحلت أن ندمرها بالفعل بلا جدوى، استخدمنا القنابل ولم تنفجر، أصابع الديناميت كانت بجوار الفجوة كأنها مجرد ألعاب نارية للصبيان، لا

يوجد لها أي قوة تدميرية، لا أعتقد أننا نستطيع استخدام أي سلاح هجومي مع تلك الفجوة، لقد نجحوا في شل القوة التدميرية لأكثر أسلحتنا فتكًا، لم يبقَ إلا أن نضربها بالصواريخ، وكذلك أنت قد رأيت ما حدث عندما أردت أن تقتحم الفجوة بطريقة عشوائية، إن الحلول التي نملكها لا تُجدي نفعًا وعلينا البحث عن شيء آخر..

فقلت لهم: حسنًا لقد بدأت أفهم أنه لا يمكن الدخول ضد إرادة الفجوة، هم من يمسكون بزمام الأمور ويجب أن نعترف بهذا، لابد أن تكون لديهم الرغبة لندخل كي نستطيع أن ندخل كما دخل عوض..

فقال عبد الملك: ولكن هناك ملحوظة يجب أن ننتبه لها، ألم يُكتب علي واجهة الجدار الذي كان يسد الفجوة تحذير لمن يدخل؟ ألا يعطي ذلك انطباعًا أنه يمكن لأي شخص الدخول وقت ما يريد؟

فانتبهت علي كلمته «واجهة الباب»..فانطلقت مسرعًا..

فنادوا عليّ: أين تذهب؟

فقلت: لأرى ما غفلنا جميعـًا عنه، أتمني أن أكون على حق ..

يحيي: أين ؟

فقلت: الفجوة

لحقوا بي جميعـًا عند الباب والذي كان مستندًا إلى كتلة صخرية كبيرة بجوار الفجوة، فقلت: ساعدوني لننظر في ظهر الباب، فلو صح ظني لحللنا نصف المشكلة..

فحملنا الباب سويا وقمنا بتحويله إلي الجانب الآخر

لتظهر لنا مفاجأة غير التي كنت أنتظرها..

كانت هناك رسالة لم نقرأها علي ظهر الباب، كان نصًا صغيرًا بالهيروغليفية من سطر واحد فقط..

لم يكن صعبـًا عليّ أنا ويحيي أن نترجمه فورًا، رسالة تهديدية شديدة اللهجة، وقد كان فيها ما يكفي لإدخال الرعب في قلوبنا جميعـًا..كانت تقول:

"سوف تتحرك أسباب الهلاك فوراً لتفتك بمن يفتح هذا الباب وسيعاني حتي الموت"



قال حجازي: هذه الرسالة من شأنها أن تجعلني أمنع أي محاولة لدخول الفجوة..

فقال مختار: أوافقك، هذا بالضبط ما أردت قوله

فقلت لهم وقد استشطت غضبًا: معذرة..هل تظنون أنه بإمكانكم إثنائي عن الدخول؟ هل تظنون أني سأترك زوجتي وابني وأجلس هنا للثرثرة حول الفجوة مرة أخري؟

فقال عبد الملك: انتظروا، بالفعل لقد لحق الهلاك بمن فتحوا الفجوة..

حجازي: ماذا تقصد؟

عبد الملك: أقصد أن التهديد تم تنفيذه بالفعل، وإذا كان النص التهديدي مكتوبًا على الجانب الداخلي من الباب، وإذا كان أيضًا الطريق بالداخل من اتجاه واحد كما في النصوص الأولى، فمعني هذا أنه لن يأتي أحد خارجًا من الباب ليقرأ النص، أي أن تلك الرسالة مقصود بها من فتح الباب مثلنا فعلا..

حجازي: وما الذي نستنتجه من ذلك ؟

فنظر نحوي عبد الملك: كم لبثت يا بروفيسور سليمان واقفا على حافة الفجوة قبل أن تبدأ الأرض بالحركة تحتك وسحبك لأسفل؟

قلت: حوالي عشرين ثانية..

فقال: إذن بإمكاننا تكوين فريق لاستكشاف الفجوة، وسيكون أمامنا عشرون ثانية ليدخل خلالها الفريق كاملا، يجب ألا تزيد المدة عن ذلك حتي لا نقع في شرك الدخول، أما بالداخل فعلى من يدخل أن يتعامل بحكمة وحذر لأننا لا نعرف الشراك التي تنتظره..

مختار: ثم؟

فنظرنا إلى بعضنا البعض..ولم يرد أحد..

فقال عبد الملك: سيبحث السيد سليمان عن زوجته وابنه، وسيساعده الفريق المرافق، وسيقوم باستكشاف الفجوة..

حجازي: أفهم ما يرمي إليه السيد مختار، سوف تكون أهداف مجموعة الاستكشاف أولا تحرير الفرد المجند عوض والذي تم اختطافه بشكل غامض.

ثانيًا تحرير زوجة وابن السيد سليمان الصواف .

ثالثًا معرفة ماهية الفجوة وما تحتويه، والتقاط وجمع أكبر قدر من المعلومات والعينات والأدلة على أي شيء ما أمكنهم، في إطار الحفاظ علي حياتهم .

أرجو الالتزام الصارم بهذه الأهداف والتي بناء عليها سوف يتم فتح باب التطوع لدخول تلك الفجوة، فأنا بكل أمانة لا أستطيع إجبار أحد علي الدخول هناك..

فقلت له: أنا بالطبع سأدخل، فقال يحيى: وأنا، فقال عبد الملك وأنا، فقال حجازي: وأنا، فقال لبيب: وأنا.

فقال مختار: لن أكون أجبنكم، كنت قد علمت منذ زمن أني سوف أموت بين يدي الرماديين ولكني لم أكن أتصور أني سوف أذهب بقدمي نحو تلك النهاية، سأدخل معكم

فقال حجازي: حسنًا لابد أن يبقي أحدنا هنا يتلقي الاتصالات منا ويري تسجيلات أجهزة المراقبة التي



سنضعها ويوجهنا إذا لزم الأمر، أعتقد أن أنسب شخص هو السيد عبد الملك..

ثم نظر إلي لبيب قائلا: وابق معه هنا يا لبيب أيضًا..



(٨)

في دقائق كنا قد أصبحنا جاهزين لدخول الفجوة، كان معي مصباح يدوي كبير وقوي، ومعي سكين خفيف تحسبًا لأي مواجهة لأنني لا أستطيع التعامل مع الأسلحة، وكان من المفترض أن يأتي معي خمسة آخرون هم حجازي ومختار ويحيى وجندي يدعي غانم وآخر يدعي نسيم، كانا قد تطوعا مع حجازي بمجرد أن فتح باب التطوع لدخول الفجوة..

كان الجميع قد جهز نفسه بمعداته..وكان حجازي والجنديان أكثرنا عدة بالطبع، وكان على الجانب الآخر في خيمة المراقبة عبد الملك ولبيب..

وقفنا نحن الستة أمام الفجوة في محاولة لإثارة الحركة حولها لعلها تفتح وتقوم بسحبنا بداخلها، وقفنا قرابة العشر دقائق بلا أي رد فعل..

ثم تقدم حجازي قائلا: سوف نأخذ نحن المبادرة، سندخلها متتابعين، عليكم أن تتبعوني بسرعة يجب أن ندخل جميعًا في غضون عشرين ثانية ليس أكثر..

الآن...

فصاح مختار: أحذركم التحذير الأخير قبل الدخول، لا تثقوا بأي شيء داخل هذه الفجوة..

فصرخ غانم: ماهذا!؟ يا إلهي أنظروا داخل الفجوة!

فتحولت أنظارنا جميعًا للفجوة، لتحبس أنفاسنا المفاجأة..

وقفنا وكأن على رؤوسنا الطير ونحن ننظر داخل الفجوة، التي أضاءت ضوءًا أحمر خافتًا للغاية..

لم ينطق أحد منا بكلمة ولا أتى بحركة وأجزم أنهم كانوا -مثلي- لا يصدقون أعينهم عندما خرج علينا منها طفلان صغيران لا يكاد يتجاوز عمرهما ستة أعوام..

تقدما خارجين من الفجوة في صمت وخطوات طفولية غير متزنة تملؤها الرهبة، وهما يمسكان بيد بعضهما

وينظران إلينا نظرات مذعورة، كانا يبدوان في ظلام الليل تحت أضواء المعسكر غير القوية طفلين كسائر الأطفال، ولكن بعد دقائق كانت الدهشة قد زالت عنا..

اقترب منهم حجازي في حرص ثم قال: من أنتما ومن أين جئتما؟

ظلا ينظران إليه بلا أي رد فعل..

اقتربنا جميعًا وأحطناهما ثم سألتهما: هل تتكلمان العربية؟

كانت نظراتهما تدل على أنهما لا يفهمان لساننا ولا يعرفان حرفًا واحدًا من العربية..

فتقدم يحيى وسأل بالإنجليزية: ما اسمكما؟ ثم أعاد السؤال بالأسبانية إذ لم يردا عليه، ثم أعاده بالفرنسية، ولكن لا فائدة..

أخذناهما إلى الخيمة لنكتشف أنهما طفلان غير طبيعيان، لقد كنت أظنهما يحملان علي أجسادهما ترابًا أو غبارًا من الفجوة، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك..

لقد كان لون بشرتهما أخضر..

كانت أجسادهما نظيفة ليس عليها غبار يدل على خوضهما رحلة طويلة أو وعثاء سفر طويل، كانت عيناهما ضيقة وحدقتها ذات لون أخضر زاهٍ، كانت الفتاة لها شعر أسود لامع وطويل والفتي لا شعر في وجهه أو رأسه على الإطلاق، كان وجهاهما طويلين ونحيفين، أنوفهما صغيرة وحادة، آذانهما كبيرة بطريقة ملفتة للنظر..

لم يتكلما كلمة واحدة، ولم يُظهرا أي مقاومة للقبض عليهما أو اقتيادهما للخيمة..

جلسا في منتصف الخيمة وجلسنا حولهما وقد امتلأنا فضولا لنعرف ما قصتهما وما الذي جاء بهما وما الذي بداخل الفجوة؟

كان كل منا يطرح سؤالا على الفتي والفتاة، ولكن لم يزد عليهما إلا أن ينظرا لمن يطرح السؤال ويستمرا في الصمت، وربما كان يبدو عليهما عدم فهم ما يقال تمامًا..

ساعتان كاملتان من الصمت المتواصل برغم كل محاولاتنا وأسئلتنا، والغريب أنهما لم يقربا الطعام الذي أحضرناه لهما ولا المياه، كنا قد بدأنا نيأس ونفكر في طرق

أقل رحمة وتهذيبًا في التحقيق عندما بدأ لون جلدهما يتغير للأصفر..

بدا الأمر مرعبًا أكثر منه غريبًا..

ثم فجأة بدأ الفتي يتشنج ثم تمدد على الأرض وأخذ ينتفض، كانت نوبة صرع واضحة، بينما ظلت الفتاة في هدوء فاندفع يحيي ناحية الفتي محاولا أن يمسك به في نوبته، ففوجئنا بالفتاة ترفع يدها مشيرة إلى يحيى بإصبعها وتركز إصبعها ناحية جبينه بالضبط وقد تحولت عينها إلى اللون الأصفر وأصبحت حدقتها بيضاوية سوداء قائمة تمامًا كعيون القطط، ثم قالت بلغة عربية فصيحة لا إعجام فيها: المئتان وخمسة وثلاثون جنيهًا في جيب سترتك، الورقة الثانية من فئة العشرة جنيهات، إنها مزيفة

ثم وجهت وجهها ناحية حجازي ثم بدأت بتحريك يدها تجاهه قائلة: اسمك الحقيقي الذي تخفيه هو هاني، ابنك المريض قد تم تشخيصه بشكل خاطئ، علاجه الوحيد هو أن يشرب ماء نبتة اللاوند ضيق الأوراق.

فاندهش حجازي بشدة ولم يتكلم..

ثم وجهت وجهها للبيب ووجهت له الإشارة بيدها ونظرت له نظرة طويلة ثم قالت: أنت لا تنتمي لهذا المكان.

ثم أشارت نحو عبد الملك قائلة: الصندوق الذي تكلمت عليه والدتك وهي تموت، ابحث عنه فوق خزانة سوداء في قبو المنزل القديم.

فرأينا نظرة الاندهاش والعجب على وجه عبد الملك..

ثم نظرت نحوي وأشارت إليّ وقالت: سيدوي صوت ضحكك في مدينة بعيدة، ولكن الحزن سوف يعتصر قلبك لوقت طويل، وستعاني حتي الموت.

قالت هذا الكلام والذي يبدو منه ومن ردود الأفعال عليه أنها كانت محقة، ونحن ننظر إليها في دهشة مخلوطة بالفزع.

ثم سكتت، وعادت عينها إلى سيرتها الأولى، واستفاق أخوها من صرعته وقام ليجلس بجانبها وعادا إلي صمتهما، وعدنا نحن إلى الحيرة والتساؤلات والضيق بكل ما يحدث.



باءت كل محاولاتنا لاستجواب الطفلين بالفشل، فلم نستطع استخراج كلمة واحدة منهما، وقد عادا مرة أخرى لردود أفعالهما التي تشير إلى جهلهما التام بلغتنا، كيف ذلك وقد كانت الطفلة تتكلم بلغة عربية سليمة؟

لقد أخبرت الجميع بأخبار صحيحة عن أشياء مخلوطة بإرشادات لما يجب أن يفعلوه، وعلى مايبدو أنها كانت تعرف ما الذي تتكلم عنه، كيف ذلك؟ ومن تلك الفتاة ومن أين لها بمعرفة ما عرفته؟

وهذا التحول المخيف الذي تحولته، أكد مختار أنها من الشعوب التي تعيش بجوف الأرض، شعب آخر غير الرماديين، ولكن مجرد ذكر هذا الكلام هو أمر يلقي الرعب في القلوب.

ألم نكن وحدنا في هذا الكون؟

ما طبيعة الكون الذي نعيشه؟ ما حقيقته؟ ما الذي خلقه الله ولا نعرفه غير ذلك؟ ما الذي جرى على هذه الأرض؟

أين الحقيقة؟

الحقيقة التي كنت أظن نفسي قد جمعت الكثير عنها، كنت أظنني اقتربت من الحقيقة الكاملة للكون، فأدركت فجأة أني لست أكيدًا من موطئ قدمي، وأريد أن أبحث بحثًا مضنيًا لأعرف أين أنا.

وما معني أني سأعاني حتى الموت؟ أو يعتصر الحزن قلبي؟ ولماذا؟

هل سأفارق زوجتي وابني للأبد؟

هل هنالك ما هو أسوأ؟

وما معني قولها للبيب أنه لا ينتمي لهذا المكان؟

هذه الفتاة ألقت أمامنا ألف سؤال آخر، وألف لغز أكثر تعقيدًا من الفجوة نفسها..

قطع تفكيري صوت لغط خارج الخيمة بدأ يتنامي ويصل إلى مسامعنا، فقام حجازي بالنداء على جندي بالخارج سائلا ماذا يحدث؟

فدخل الجندي وعلى وجهه علامات التوتر وهو يقول: سيدي، إنه عوض، لقد خرج من الفجوة للتو.

انتفضنا جميعـاً خارجين نعدو نحو الفجوة والتي وجدنا عندها الجندي عوض يقف وحوله ثلاثة من الجنود يحيطون به، ولكننا عندما وصلنا عنده لاحظنا ملاحظة غريبة للغاية، اتفقنا جميعًا على ملاحظة أن عوض قامته أكثر طولًا من قامته قبل دخول الفجوة..

كان يقف وهو شارد زائغ العين ساكن لا يتكلم، ولكن عينيه لا تكف عن الحركة في كل اتجاه، فنادى عليه حجازي: عوض ماذا حدث؟

لم يرد عوض فأحاطه زملاؤه واقتادوه إلى الخيمة وذهبنا معه جميعا لنكتشف أن الأطفال قد اختفوا.

وقفت أضرب كفا بكف من العجب وعدم تصديق ما يحدث، أشعر أنني في حلم ولست أعيش واقعا ملموسا، كل شيء يجري بسرعة خاطفة لا تسمح باستيعاب ما يحدث، لا يكاد يقع حادث حتى يتلقفنا حادث آخر، ألغاز وأحاجٍ، غموض وتناقض مع العلم والمنطق، ظلمات بعضها فوق بعض ولا نعرف ماذا يحدث ولا نهتدي سبيلا.

فتقدم مختار نحوي قائلاً وهو ينظر حوله: بروفيسور سليمان، أريدك على انفراد..

فقلت: تفضل

فتنحينا جانباً خارج الخيمة وقال: هل سمعت ما قالته الفتاة للبيب؟

فقلت: نعم

فقال: هل تعلم معني هذا؟

فقلت: لا

فقال: إنه أحدهم، إنه من الرماديين..

فقلت: مستحيل، كيف ذلك لقد كان معنا من البداية وهو من رجال المخابرات، هل تظن أن حجازي......؟

فقاطعني قائلاً: لا حجازي بعيد عن الأمر، ربما لبيب نفسه تم اختطافه واستبداله، على كل الأحوال قبل أن نحكم عليه يجب أن نتأكد.

فقلت: كيف؟

فقال: لا أعرف، يجب أن يحدث خطأ ما، يجب أن يحدث شيء يجعل تخفيه يضطرب وتظهر عليه علامة أو علامات.

فقلت: هل تظن ذلك؟

فقال: ليس عندي وسيلة للاختبار ولكن يجب أن نكون حريصين في التعامل ولا نعطي ثقتنا الكاملة لأحد.

فقلت له: حسنًا أوافقك..

فاستدار مختار فإذا بلبيب يقف خلفه مباشرةً..

فاحتبست أنفاسنا لحظة، حتي قطعها لبيب فجأة قائلاً: هل قاطعتكم؟

فقال مختار: لا أبداً، لقد كنت أطمئن على البروفيسور..

فقال لبيب: هل لي بكلمة معك بروفيسور سليمان؟

فقلت وأنا أنظر لمختار: نعم ..بالطبع

فأخذ يلتفت يمينًا ويسارًا ليتأكد أن مختارًا قد رحل وأن لا أحد حولنا ثم قال: سيد سليمان هل تثق في مختار جيدًا ؟

فقلت له: نعم طبعًا.

فقال: هل لاحظت أن الفتاة تكلمت مع الجميع إلا مختارًا؟

فقلت: ماذا تريد أن تقول ؟

فقال: لماذا تخرج فتاة خضراء اللون من فجوة ملعونة ثم تتكلم كما فعلت الفتاة فتوجه كلامها لكل الموجودين باستثناء شخص واحد، ليس أقل الموجودين أهمية أو ظهورًا، لا سيما وهو أعلمنا بما يحدث.

فقلت وقد بدا كلامه منطقيًا: لا أعرف، ماذا تريد أن تقول؟

فقال: أظن أنه أحدهم إنه من الرماديين.

أصابني دوار مما قاله لبيب..

فقلت له: وماذا تري أن نفعل؟

فقال: لا أعرف كيف يمكن كشف حقيقته والتأكد منها ولكني أجزم أنه منهم لذا وجب علينا توخي الحذر.

أومات له برأسي، وذهبت إلى الخيمة، سألت عن عبد الملك، فقالوا إنه بالخارج عند الفجوة، فانطلقت إليه فوجدته يقف شاردا عند الفجوة

فقلت له: مهندس عبد الملك، ما الذي يشغلك هنا؟

فقال: لا شيء فقط أفكر..

فقلت: كنت أود أن أعتذر لك عما بدر مني تجاهك، عصبيتي تحولني لأحمق أحيانا.

فقال: لا عليك، أرجو أن تطمئن على عائلتك..

فقلت له: أريد رأيك في مسألة؟

فقال: تفضل

فصارحته بالشكوك التي طرحها عليّ مختار ولبيب، ولكني لم أفصح له عن أنهما يشكان في بعضهما.. أفهمته أنه شكي أنا الشخصي..

فقال: غريب لقد كنت أقف هنا أفكر في تلك المسألة..

فقلت: أي مسألة

فقال: هل تثق في السيد يحيي؟

فنظرت له واتسعت عيني ولم أملك الرد..

فقال: إن الرسالة التي قالتها له الفتاة في رأيي كانت شفرة لها معني أبعد من مجرد نبوءة، قالت إن بحوزته رقمًا له دلالة، ثم أشارت إلى الورقة الثانية من فئة معينة وقالت إنها مزيفة.

أنا واثق تمامًا أن تلك الجملة هي شفرة .

فقلت: ماذا تقصد بهذا؟

قال: أقصد أن يحيى أحدهم، أحد الرماديين.

فأصابني الدوار مرة أخري، وقلت بصوت خفيض وأنا أمسك رأسي محاولا التماسك: وماذا ترى أن نفعل؟

فقال: لا أعرف، ولكن يجب أن نبقي حريصين بقدر كاف حتي نتمكن من كشفه، أنا واثق أنه منهم

شعرت وقتها بضيق شديد وألم في صدري، وأعراض لأزمة قلبية، فأخرجت الأقراص الدوائية من جيبي وتناولت واحدة تحت لساني فورًا.

لقد اختلطت كل الأوراق الآن وتبعثرت.

الفريق الذي كوّنّاه طيلة اليوم يتشتت، ويفقد ثقته بيعضه..

والغريب أن لكل منهم منطقه السليم..

والرسائل تحمل كل المعاني، ولا شيء أكيد..

لقد أصيب الجميع بالارتياب، الجميع ينظرون إلى بعضهم نظرة شك..

رجال المخابرات نظروا للرسائل من وجهة نظر أمنية ، والمهندس نظر لها من وجهة نظر رياضية، وجميعهم يخبرونني بنفس الأمر، لماذا لا يشكون بي أنا؟ أم أن هذه لعبة يلعبونها عليّ؟ أم أن تلك الفتاة قد أتت من أجل هذا؟ من أجل أن تتفق معهم عليّ أنا؟ أيكونون هم وراء اختطاف زوجتي وابني؟ هل أواجههم؟

هل أهرب من الجميع؟

هل أحذر حجازي؟ أم هو أحدهم؟

هل هناك منهم من يشك في شخصي كما يشك الجميع؟

هل تلك الفتاة كانت مهمتها هي تلك المهمة اللعينة؟ أن تزرع الشك في نفوس الجميع؟



لا يوجد حل سوي دخول الفجوة، لابد أن ندخلها فورًا.

طلبت من عبد الملك أن يعينني على العودة إلى الخيمة لأني أشعر بألم في صدري حتى أتعافي وتأتي أقراص الدواء مفعولها..

فعدنا..





(٩)

كانت الشمس علي وشك الشروق، وكنا نحاول الوصول لأي نتيجة أو إجابة من عوض ولكن بلا فائدة، فقررنا أنه لابد من دخول الفجوة وبأسرع وقت ممكن..

عدنا لأماكننا التي أخذناها بالأمس، واستعددنا للدخول، مرة أخري وقفنا نحن الستة، كان معي حجازي ومختار ويحيى وغانم ونسيم، وبقي خلفنا في المعسكر عبد الملك ولبيب، وأربعة من الجنود، هؤلاء هم كل من رأي الأحداث كاملة، وهم من بقي وراءنا ليخبروا عنا أو ينقذونا إذا ما ضعنا في ذلك المجهول.

وقفنا فإذا بعبد الملك ينظر إلي ويشير بعينيه نحو يحيى، فنظرت إلى لبيب الذي أومأ إليّ نحو مختار، فنظر مختار نحوي وأشار بعينه للبيب، وأنا أقف بين هؤلاء ولا

أفكر إلا في المصير الذي ينتظرنا بالداخل، والمصير الذي قد آلت إليه عائلتي..

قال حجازي هل أنتم مستعدون؟ توكلنا علي الله..

ثم انطلق نحو الفجوة وقفز أمام الجدار السائل..فإذا بالجدار يصدر منه نور فجأة وكأن هناك مصباحًا قويًا بالداخل، فمد حجازي يده فانجذبت بشدة نحو الجدار ثم في لحظة انجذب جسده بقوة نحو الداخل وكأن الجدار قد ابتلعه، فانطلقت وراءه وتبعني باقي الفريق.

أغمضت عيني وقفزت، فشعرت بقوة سحب هائلة كأني وسط دوامة هوائية عنيفة، استمرت لثواني ثم عم السكون حولي، فاطمأننت أن قدماي قد استقرتا على الأرض، ثم فتحت عيني فإذا بظلام حالك يحيط بي من كل مكان..لم أكن أرى أي شيء، أو أسمع أي شيء، فشعرت بالخوف الشديد من ذلك الظلام والصمت، فحاولت أن أضيء المصباح الذي بيدي فإذا به لا يعمل..

ظللت أحاول ولكن بلا جدوي، فأخرجت هاتفي الجوال لأحاول الاسترشاد بضوءه ولكني فوجئت به متوقف تمامًا عن العمل..

بدأت أشعر بفزع مما يجري، ومن عدم سماع صوت الفريق الذي يصاحبني، فأخذت أصرخ: هل يسمعني أحد؟هل أنتم معي هنا؟

ولكن دون جدوي، لا أحد يجيب..

تذكرت أني أملك في الحقيبة التي أعطوني إياها صندوق ثقاب، فأخذت أفتح الحقيبة في هلع شديد فتناثرت محتوياتها على الأرض، فارتميت على الأرض أبحث بيدي محاولا العثور على الثقاب، فاحتبست أنفاسي عندما لمست بيدي اليمني شيئا غريبا، لقد كان ملمسه كجلد رطب، فتحسست أكثر فشعرت أنه جلد يكسو شيئا عظميا قاسيًا مثل أقدام الخيل، فرفعت يدي لأعلى أتحسس ذلك الشيء فإذا بيدي تتحرك فوق بشرة ذات شعر كجسد الحيوانات.

شعرت بنبض قلبي يكاد يحطم ضلوعي من الخوف قبل أن تعثر يدي اليسري على صندوق الثقاب على الأرض فأمسكته مسرعًا ويدي مرتعشة وأمسكت بكل ما وقعت يدي عليه من أعواد الثقاب وأشعلتها فإذا بي أرى في وهج بداية الاشتعال ذلك الكائن المرعب..

لقد رأيت بعيني أسطورة مجسدة، لم يكن الفراعنة يتخيلون أو يرسمون تصورات بدائية..

إنه ذلك الكائن الأسطوري المرسوم على جدران المعابد الفرعونية..

إنه أنوبيس..

أقدام ذات حوافر وجسد إنسان ورأس كلب.

رسمه الفراعنة ونصبوه إلاهًا على العالم السفلي..

كان وهج الثقاب قد خفُت فلم أعد أري غير قدمه التي أمامي..

فتحجرت في مكاني محتبس الأنفاس لا أعرف كيف أتصرف، فتحركت قدمه، وما أن بدأ يتحرك حتى انطفأ الثقاب، فأسرعت مفزوعا فقبضت مجموعة أعواد ثقاب أخري وأشعلتها فإذا به قد اختفي.

ظللت على الأرض ألتقط أنفاسي، ولا أستطيع السيطرة على أعصابي ولا أملك قوة للنهوض، كان الخوف قد بلغ بي مبلغًا لم يسبق له مثيل، حتي أني شعرت بشلل تام في التفكير..

جلست قليلا محاولا تنظيم أنفاسي والحصول على هدوء نسبي يمكنني من التفكير، كانت أعواد الثقاب تنطفئ وأعيد إشعالها من جديد عندما بدأت أتمالك نفسي فاهتديت إلى فكرة..

أخذت الحقيبة التي بحوزتي والتي كانت محتوياتها قد تبعثرت على الأرض فأفرغت ما بقي بها من محتويات ثم قمت بإشعال النيران بها، كان ذلك كافيا لصنع شعلة كبيرة نسبيا جعلت مجال الرؤية أوسع..

فقمت واقفًا، نظرت خلفي فإذا بالجدار السائل الذي دخلنا منه كما هو ولكنه معتم لا أستطيع أن أري من خلفه أي شيء، نظرت حولي، لا أحد من الفريق الذي دخل معي كان متواجداً، ولا حتي أنوبيس الذي رأيته، كان المكان عبارة عن نفق طويل جدرانه سوداء ملساء كأنما صنعتها آلة حديثة، ووقعت عيني فجأة علي حامل مشعل معلق علي الجدار..كأن من حفروا هذا النفق قد جهزوه بمشعل للإضاءة..

فأمسكته وأشعلته من الحقيبة المشتعلة قبل أن تخمد نيرانها، وحملت ما كان من محتوياتها على الأرض في

جيوب معطفي، وكان منها جهاز اتصالات لاسلكي، حاولت الحديث خلاله بلا أي جدوى، لقد تعطل تمامًا، حتي ساعة يدي توقفت عن العمل، فأمسكت البوصلة التي كانت في الحقيبة فإذا بإبرتها المغناطيسية تدور بجنون دون توقف، فأدركت أن الفجوة قد أوقفت كل الأجهزة الإلكترونية عن العمل، لم يعد بد من الحركة اعتمادًا على الحدس، فوضعت الأدوات في جيبي وت حركت..

مشيت ببطء شديد وحرص بالغ قرابة العشرين مترًا، لا شيء أقابله..ولا كلمة أسمعها أو علامة مميزة أو أثر لأي أحد مشي قبلي على هذا الطريق..

ماذا حدث؟؟ كيف افترقنا أنا والفريق المصاحب لي؟ أين ذهبوا؟

كنت قد بدأت أيأس من السير عندما وجدت منعطفًا لليمين..

شعرت وقتها أن هناك شيئا مألوفًا بالنسبة لي فيما يحدث، ثم أدركت سريعًا أني أمشي بنفس الخطي والطريقة التي رأينا بها الرجل داخل الفجوة في الصباح،

الرجل الذي ظنناه يحيى،لقد كان أنا، يا إلهي هل يُعقل هذا؟؟ هل هم ينادونني الآن بالخارج..فنظرت للخلف نحو الجدار السائل..

ثم عدت فأدركت أن تلك النظرة نحو الجدار السائل نفسها قد حدثت في الصباح أيضـاً..

لقد كان مختار محقًا،ولكن كيف حدث ذلك؟

انقبض قلبي وعاد إليه الخوف من جديد، انعطفت لليمين وأكملت طريقي..

كان الجدار بعد أن انعطفت أكثر بريقـاً من الجدار المعتم الذي سبق، فكان للنيران عليه شيء من الانعكاس جعل الإضاءة أقوي، والرؤية أوضح، ولكن النفق طويل ويبدو بلا نهاية، كما كان يميل للأسفل، فكنت أقاوم الإندفاع نزولاأثناء سيري..ولكني وقتها بدأت أشعر أن هناك من يتبعني..

أخذت ألتفت وأوجه المشعل في جميع الجوانب، ولكني لم أرَ شيئـًا، جعل شعور التتبع هذا الرعب يدب في قلبي، وأمشي غير مطمئن وأفكر كيف أدافع عن نفسي؟



كان ما يهمني هو الحفاظ على الإتجاهات التي مشيت بها وتذكرها..

ولكن لم يمهلني النفق، فجأة وجدت نفسي أقف على مفترق طرق، هناك عن يميني طريق وأمامي طريق وعن يساري طريق..فشعرت بقشعريرة تسري في جسدي من الرعب والارتباك، جالت الأفكار غير مرتبة في رأسي قبل أن يبدأ صوت غريب يتنامى إلى مسامعي..

صوت ضوضاء كأنما هناك جمع غفير من الناس في مكان قريب، صوت جماهيرغاضبة، كأن شخص ما يخطب في جماهير في حالة غضب، ثم تحولت الأصوات الغاضبة إلى فوضي وصراخ مفزع. أخذت أقترب من مصدر الصوت، كان الصوت يعلو وينخفض بشكل مُربك للغاية، فلم أكن أعرف على وجه الدقة في أي اتجاه يجب أن تكون وجهتي. ظللت هكذا أتتبع الصوت وانعطف يمينًا ويسارًا، وكان الصوت لا يقترب أبداً، حتي وصلت إلى مكان علا الصوت فيه فجأة كأنما كان هناك غرفة مغلقة وانفتح بابها، فاقتربت بحرص من حافة الجدار وانعطفت بسرعة

فإذا لا شيء، كل الأصوات توقفت بصورة مفاجئة.. تملكني الخوف في ذلك الوقت عندما أدركت أني كنت أستدرج، لقد ضاعت الاتجاهات وضللت الطريق.

كيف لي أن أعرف أين أنا من نقطة بداية الطريق الذي سلكته علي مفترق الطرق، لقد ضعت في شبكة أنفاق مجهولة متشعبة ولا دليل ليخرجني منها.. وازداد الأمر سوءا عندما بدأ الجو يصبح باردا وتشتد البرودة كلما تحركت من مكان إلى آخر..

وقفت يائسًا أرتجف من البرد وأفكر فيما يمكن أن أفعله، نظرت يميني فرأيت على مسافة بعيدة ضوءًا قويًا، فتنفست الصعداء وعرفت أني قد وصلت إلي مخرج أو إلى أحد أعضاء الفريق، أو وصلت لأي شيء آخر غير ما أنا عليه الآن وبالتأكيد سيكون ذلك أمرا جيدًا، فبدأت أتحرك بشيء من الهدوء..

تحركت نحو الضوء، ولكن الغريب أن الضوء لم يكن يقترب..

كلما تحركت نحوه كلما ابتعد، ألن ينتهي ذلك الجنون أبداً؟

ولكن ما هو مصدر ذلك الضوء؟

عدت أتحرك نحوه بهدوء، ولكن فاجأني صوت غريب في الجدران من حولي، صوت كأنه صوت حشرات تزحف على الجدران، وجهت مصباحي تجاه الجدران فصُدمت عندما رأيت سهمًا يشير إلي ناحية الضوء.

ظننت أنه ربما يكون هذا من عمل أحد أفراد فريقي.. أكملت طريقي وأنا أفتش في الجدران علي أي علامات أخري..

حتي وصلت إلي النهاية عند مفترق طرق جديد.. نظرت تحت قدمي..

فوجدت ورقة علي الأرض..

أمسكتها لتحتبس أنفاسي من جديد..فقد كانت الكلمات كطلقات الرصاص ..كانت تقول:

(هنا نهاية الطريق الآمن..ارجع إلي السطح أو ابق مكانك..لا تكن ضحية الخطوة التالية)

ولكن ما أرعبني حقًا هو التوقيع الذي علي كان الورقة..

لقد كان عليها توقيع «صبحي نصار»



كانت الورقة تحمل رسائل أكثر مما تبدو عليه..

فبجانب رسالة التحذير من الخطوة التالية، فهي تشير إلي العودة إلى السطح، ما يعني أنني الآن قد نزلت بالفعل عن مستوي سطح الأرض، كنت في بداية الطريق أشعر بأن الممرات تأخذني للأسفل ولكنني انشغلت بما مررت به ولم أشعر أين وصلت..

أيضـًا إذا كان صبحي نصار قد عرف ما ينتظرني من خطر في الأمام، فهو أيضًا قد عاد ليكتب هذه الورقة وبالتالي فهناك طريقة للعودة أيـًا كان الخطر الذي ينتظرني..

ولكنني لست هنا للمغامرة، ولا أملك رفاهية التراجع، أنا أبحث عن زوجة وابن ليس لهما أحد غيري ليهتم بشأنهما، ولن أتخلي عنهما حتي أجدهما أو أموت دونهما..
ألقيت بالورقة وهممت أن أتحرك..



ولكن يبدو أن صبحي نصار كان يعني حرفيًا ما كتبه..

وقد وضع الورقة في المكان الصحيح تمامًا..

لا أعرف كيف عرف ذلك، ولا كيف وضع الورقة، ولكن مع الخطوة التالية انشقت الأرض وانزلقت في باطنها..

كان السقوط هنا خطيرًا أخطر من كل ما سبق، كاد يودي بحياتي فعلاً، ولكنه ليس أخطر من الحقيقة التي اكتشفتها..



(١٠)

أفقدتني تلك السقطة وعيي وأفقت من ذلك الإغماء علي صوت الضفادع، مرة أخري هذا الصوت اللعين، أشعلت المشعل الذي انطفأ من السقطة مجدداً، لم أدرِ كم مر من الوقت فلم تكن ساعة يدي تعمل منذ دخلت الفجوة، ولكنني عندما نظرت إليها بشكل عفوي، فوجئت بها قد عادت للعمل من جديد..

ولكن....

ولكن عقاربها كانت تسير في الاتجاه المعاكس، كانت الساعة تعمل للخلف، جنون لم أره في حياتي قبل ذلك، فأخرجت البوصلة فوجدتها قد تحطمت بشكل كامل من جراء السقطة التي سقطتها..

وفجأة سمعت رنين هاتفي



كانت مفاجأة مذهلة، إنه يعمل من جديد، ويلتقط كذلك إشارة من شبكة اتصالات؟!

فرحت بشدة وأخرجته..فإذا بشاشته مليئة بأرقام كثيرة تجري صعودا على الشاشة..ويصدر وميضًا متقطعا، ومازال رنينه متصلًا، كان هناك اتصال، فرددت لأفاجأ بصوت تشويش يخرج منه صوت يقول:

لا أعرف ما الذي يحدث...هذا المكان...هذا المكان غير طبيعي...الجنود في حالة ذعر شديد وأنا أيضًا...لا أعرف كيف أصف ما يحدث...المكان هنا مليئ بالوهم...لا أعرف إن كنتم تستقبلون الرسالة أم لا ..

لقد كان صوت صبحي نصار وهذه رسالته الثانية التي سمعناها هذا الصباح، فرميت بالهاتف على الأرض بينما عاد رنينه يعمل بشكل متصل..

ثم شعرت بأحد يتحرك بجانبي، كان نفس الشعور الذي صاحبني من البداية بأن هناك من يتبعني، ولكنه كان هنا يقينًا، هناك من يراقبني ويتحرك في الخفاء..

لا أعرف ما كل هذا الجنون الذي أتورط فيه في كل لحظة، ولكني أيضًا فوجئت بجهاز اللاسلكي يصدر تشويشًا، لقد عاد للعمل هو الآخر..

فأخرجته من جيب معطفي بسرعة وقمت بالنداء: هل يسمعني أحد؟ لبيب؟ عبد الملك؟ مختار؟ حجازي؟ غانم؟ نسيم؟ يحيى؟ أي أحد؟

كان صوت نقيق الضفادع يرتفع حولي، وقد تملكني اليأس والخوف والآلام التي بجسدي من جراء السقطة فأمسكت باللاسلكي، وقلت:

أنا سليمان الصواف، لقد انفصلت عن الفريق الذي دخل الفجوة معي وضللت الطريق، لا أعرف كيف حدث ذلك، لم أعد أعرف عنهم شيئا، الأمر كما توقعته يا مختار، لقد كانت مخاوفك كلها حقيقية، لقد تلاعبت بنا الفجوة، وخرج الأمر كليًا عن السيطرة، كل ما أستطيع وصفه هنا هو صوت نقيق الضفادع الذي أسمعه تمامًا كما حدث في بيتي، هناك أشياء تتحرك حولي ولا أستطيع رؤيتها، هناك سر غامض وأعجز تماما عن فهمه، كل شيء يبدو مناقضًا للعلم والمنطق..

أنا أسير في متاهة لعينة من الأنفاق ولا أستطيع الخروج..

لست علي ثقة أن هذه الرسالة ستصل..

لقد رأيت ورقة كتبها صبحي نصار بنفسه..يحذر فيها من هذا الطريق..

على كل من في الخارج أن يبقي هناك، هذه الفجوة ملعونة حقًا، حاولوا إغلاقها بأي طريقة.

هنا اكتشفت أن جهاز اللاسلكي متوقف عن العمل مرة أخري، ولا أعرف متي توقف وعند أي جزء من رسالتي قد توقف، ولاحظت أن كل الأصوات والحركة حولي قد هدأت، فبدأت أتحامل على آلامي وأحاول الوقوف.

ثم قمت محاولاً استكشاف المكان، هذا الطريق غير آمن، كما قال صبحي نصار، إذن ينبغي عليّ أن أتوخي الحذر.

عدت مرة أخري أشعر بذلك الذي يراقبني، ولكن هذه المرة بدأت أسمع صوت أقدامه.

ألجمني الخوف فوقفت مكاني محاولاً تنظيم أنفاسي التي تسارعت من الخوف لأتماسك وأفكر بهدوء، ولكن صوت

الخطوات التي تراقبني لم يتوقف، بل أصبح أعلى وأوضح..
فناديت: أنا هنا، من أنت؟ أنا سليمان.

ولكن ظل الصوت مستمرًا بنمط ثابت لا يتغير ولا يقترب أو يبتعد، صوت خطوات ثابتة واثقة غير مرتعشة كخطواتي، خطوات تعرف الطريق الذي تمشي فيه بثقة تامة، ثم بدأ يتغير ويصبح له صدى مرتفع.

ولكن.

ولكن كان الصوت صوت خطوات حذاء فوق أرض صلبة، والأرض هنا رملية لا يمكن أن تصدر هذا الصوت..
ما كدت ألاحظ ذلك حتي أصبح صوت الخطوات أسرع..
لقد أصبح صوت أحد يجري متقدمًا نحوي ثم بدأ معه صوت صفير مرتفع يعم المكان، صفير كالذي سمعته في بيتي أمس، ارتفع حتي كاد يصم أذني.

كان قلبي يكاد يقفز من صدري من الرعب وبدأت أذني تؤلمني، عندما توقفت الخطوات فجأة واختفي صوت الصفير..

وبدأ يظهر صوت أنفاس تتعالي، أنفاس شخص يلهث بشكل متسارع.

ثم بدأت أسمع صوت ضوضاء كبيرة تعلو وتقترب، حاولت الإنصات جيدًا حتي أتعرف على الاتجاه الذي يأتي منه الصوت حتي حددته، ولكن كان الوقت قد تأخر..

أصابني ارتباك شديد من المفاجأة، فلم يكن بالإمكان أبداً توقع ما يحدث أو ما هو قادم نحوي.

إنها فئران.

زحف مذعور لعدد هائل من الفئران يسد النفق ويتقدم نحوي بسرعة كبيرة، مئات الآلاف من الفئران ولم تكن وحدها، بل معها جحافل من السحالي والقوارض وحيوانات زاحفة، تركض في ذعر كأنها تفر من الموت، لم أرَ في حياتي مشهداً مريعاً بهذا الشكل، كانت تلك الأعداد الضخمة من القوارض قادمة نحوي، فإلتفتُّ وأخذت أركض ولكن تلك الزواحف المذعورة وصلت إليّ في لحظة..كانت تجري خلفي ولا أعرف إذا كنت أنا ما تقصده بزحفها، كل ما أعرفه أنها ستفتك بي إن بقيت

مكاني، فاندفعت أعدو بكل طاقتي لا أستطيع الوقوف أو الراحة حتي كادت أنفاسي تنقطع، سقطت أرضًا وإذا بكل هذه الأعداد الهائلة تمر من فوقي.

عندما بدأ العدد يزداد شعرت كأن جبلاً يمر علي جسدي، وأدركت أني ميت لا محالة، كانت مخالبها تنغرس في جسدي، آلاف الأشواك تنغرس في كل خلية مني، كنت أتقلب تحتها محاولاً أن ألتقط بعض الهواء ولكن تعذر التنفس تمامًا، وبدأت أشعر بالدوار وقلة الأكسجين، فقررت أن أستسلم للموت، وما كدت أتخذ هذا القرار حتي هدأ الصوت، وخفّت الحركة، فرفعت رأسي لأري ما يجري فإذا بكل شيء قد اختفي.

أضأت المشعل مجددا.. لا شيء حولي ولا أثر.

هل كنت أتوهم؟؟

لقد قال صبحي نصار في رسالته أن هذه الأنفاق مليئة بالوهم.. ولكن ما رأيته لم يكن وهمًا.. لقد كانت فئران و زواحف مذعورة وحقيقية جداً..

ولكني لا أفهم فكل ما شعرت به فوق جسدي لا أثر له، كأن لا شيء مر من فوقي، أخشي أن أكون قد بدأت أفقد عقلي..

الأمر الجيد الآن أنه لم يعد هناك فئران..ولكني بدأت أشعر بألم في صدري..فأسرعت إلي أقراص الدواء ووضعت واحداً تحت لساني..وجلست قليلاً لأستريح..

ولكن قبل أن ألتقط أنفاسي عاد يتنامي إلي أذني صوت بعيد..أخذ يقترب ويزداد صخباً..لم يكن صوت الفئران هذه المرة..كان صوت تيار مياه يجري..فأخذت أطل برأسي فإذا بالصوت يشتد ويتحول إلي صوت انهمار سيل مياه شديد..

وجهت المشعل في كل اتجاه، حتي اصطدمت عيني بسيل ماء جارف قادم من أحد الاتجاهات، فدققت النظر لأكتشف أنها موجة تسد النفق بالكامل..لقد هلكت لا محالة.. أخذت أركض مسرعًا هربًا من ذلك السيل الجارف، كنت أدخل يمينًا ويسارًا على غير هدى حتى فوجئت أن المياه قادمة من أمامي ومن خلفي بسرعة جنونية، كان صوت الماء هادرًا يملأ النفق بصوت كالرعد يلقي

الرعب في القلوب، وقبل أن يلتقي الماء من أمامي وخلفي ساحقًا جسدي وجدت فتحة عن يساري فانعطفت في لحظة، فسمعت صوت اصطدام الموجتين العملاقتين ببعضهما كالانفجار، حبست أنفاسي كي أحاول العوم عندما يصيبني تيار الماء..

ولكن....

اختفي كل شيء..

توقف صوت سيل المياه فجأة، فعدت أنظر لأجد الموج الجارف قد اختفي تماما..

قبل أن تلاحقني كارثة أخري، لم تكن هذه المرة من الأوهام..

وقفت حزينًا ممتلئًا بالخوف واليأس، يئست من أن أجد عائلتي، تلك الأنفاق اللعينة لا تمهلني..

ولم أكمل تلك الفكرة حتى لاحظت ماءاً يتساقط عليّ من أعلى..



نظرت فوقي فإذا بكتل كبيرة وكثيفة تشبه السحب، ولكنها حمراء اللون، تمطر فوقي ماء، ولكنه لم يكن مطرًا اعتياديًا، لقد كان الماء ساخنًا ملتهبًا كأنه سهامٌ من النيران، قطع من الحميم تنهال فوقي، ثم بدأ انهمار الماء يشتد ليصبح كالشلال، حتي أحسست أني أحترق من حرارته، فعدت أركض من جديد هروبًا من ذلك الجحيم، ولكن لم تكن لتلك الكتل الحمراء الممطرة نهاية أبدًا.

ثم بدأت أفهم لماذا هي سحب حمراء، عندما تحولت الأمطار إلى سياط من العذاب..

فجأة بدأت المياه التي تهطل من السحب تتحول إلى طين، طين أحمر وأسود له رائحة عفنة..

ثم انقلب فجأة إلى أحجار، كُتل حجرية تهبط مندفعة بشدة، فأصابت رأسي وجسدي، وبدأ رأسي ينزف من قذف الأحجار، وأنا أركض محاولاً تفادي كل ذلك بلا أمل، لم يكن هناك طريقة لأتفادى بها الإصابات المتلاحقة.

انطفأت الشعلة التي كانت معي من انهمار الماء والطين وسقطت من يدي وأنا أتفادى الأحجار، فأخذت أكمل

الجري في الظلام هروبـًا من الأحجار المنهمرة، قبل أن تتحول الأحجار إلى جمرات نارية مشتعلة..كنت أجري في الظلام الحالك وإحدي يداي أتقي بها الأحجار النارية والأخري أضعها علي الجدران حتي أتحسس أي فتحة جانبية أو طريق منحرف، حتي دخلت من فتحة بعد مسافة طويلة من العدو لم أستطع تقديرها إلي غرفة انقطع عني فيها مطر الأحجار الجحيمية.

فجلست على الأرض وملابسي غارقة بالماء والدماء، وعدة حروق في يدي ورأسي..شعرت أن رأسي قد تحطم والآلام كانت في كل شبر من جسدي، فخلعت معطفي الملوث ووضعته جانبـًا، وأخرجت آخر ما كان معي من أعواد الثقاب وأشعلتها، لأكتشف أني بداخل بهو دائري كبير جداً، وبه كتل ضخمة لم أستطع معرفة ماهيتها في ضوء أعواد الثقاب، ولكني وجدت على جدران البهو مشاعل كثيرة تحيطه بالكامل، فقمت مسرعـًا وأشعلت واحداً، فبدأت تتضح لي الرؤية لمحتويات البهو.

إنها توابيت.

ستة توابيت شديدة الضخامة!

كان ذلك البهو كبيراً جداً ذو سقف شديد الإرتفاع.. في وسطه تمامًا مربع كبير مرسوم باللون الذهبي شديد الصفاء كأنه صنع بالأمس، وبداخله خطان أحمران متقاطعان يقسمانه من داخله إلي أربعة مثلثات متقابلة الرأس في المنتصف، وفي نقطة إلتقاء المثلثات هناك حلقة ذهبية مثبتة في الأرض، وهناك سلسلة حديدية ضخمة الحلقات تتدلي من سقف البهو إلى منتصف فراغه فوق المربع، كتلك التي تحمل القناديل أو المصابيح في قصورنا الحديثة.

وأمام أحد أضلاع المربع بالقرب من جدار البهو ثلاثة توابيت مرصوصة بشكل مثلث، وأمام الضلع المقابل ثلاثة توابيت أخري موضوعة بنفس التنسيق، وأمام الضلع الثالث تمثالان كبيران لنسرين فرعونيين من حجر الجرانيت الأسود، وأمام الضلع الرابع يوجد تمثال مهيب ضخم من الجرانيت الأملس مماثل تمامًا لتمثال أبي الهول، ولكنه كان غريبًا قليلا، فقد كان فمه مفتوحًا كأنه يتكلم، وهذا وضع غير معتاد في تماثيل الفراعنة بل يعتبر شاذًا في كافة الآثار الفرعونية.

أما التوابيت فهي غريبة الشكل فجميعها علي نمط التوابيت الفرعونية إلا أنها تخلو تمامًا من النقوش أو أي دلالة علي أصحابها، كما أن المكان ليس علي نمط المقابر الفرعونية.

تسلقتها واحداً واحداً..إنها مغلقة بغطاء حجري لا يقل وزنه عن ثلاثة أطنان.

كيف ذلك ؟

لمن صُنعت هذه التوابيت؟

إذا كانت قد صنعت لدفن الفراعنة فلماذا هي خالية من النقوش بهذا الشكل؟

وكيف يزن غطاءها وحده كل ذلك، من بإمكانه أن يرفع غطاء مثل هذا؟ وكم يبلغ عدد الرجال الذين يجب أن يرفعوه ليتم دفن أحدهم؟

وهذه الأنف !

لماذا وضعت التوابيت في شبكة كبيرة ومعقدة من الأنفاق؟



وكيف نزلت ؟

لـمَ هذا المكان شديد التضليل إلي هذا الحد؟

أعطيت ظهري للتوابيت وتوجهت صوب الجدار لأجلس، فإذا بي أكتشف أن الجدار عليه نقوش، فعمدت إلى باقي المشاعل علي الجدار الدائري فأشعلتها فباتت الرؤية واضحة تماماً كأنها تحت ضوء الشمس.

كان السر الذي انفتح لي لحظتها هو أثمن كنز يمكن لمثلي أن يعثر عليه.

سر يمكنه أن يدفعنا لنعيد كتابة التاريخ من جديد.



(١١)

وقفت أنظر إلي الجدار المنقوش في تعجب شديد، لقد كان الجدار أملس والنقش عليه شديد الإتقان والثبات لم يتأثر بأي عوامل زمنية، كان الجدار منقوش بالكامل، كانت ثلاثة متون متجاورة مكتوبة بشكل منفصل كل متن منهم في إطار مستطيل كبير فيه النقوش من السقف إلى الأرض، كان المتن الأول بلغة كالتي علي باب الفجوة والتي رجحنا أنها سومرية أصيلة، والمتون الأخري بالهيروغليفية..

كان المتن الأول من المتون الهيروغليفية يصف حدث هائل ومروع وقع في عهد أحد الملوك القدماء..

كان المتن الأول يقول:

في اليوم الرابع من الشهر الثاني من شهور الشتاء في السنة الثانية والعشرين شاهد الجنود في السماء دائرة كبيرة من النار، ليس لها صوت أو دخان، ولها طول وعرض الزورق الكبير، وفي اليوم التالي تكاثرت كرات النار في السماء وشاهدها كل أهل المدينة وشاهدها الملك والملكة، ولم يفهم أحد شيئًا.

ثم في اليوم العاشر جاءت سحب حمراء كثيفة سدت الأفق وحجبت الشمس لوقت طويل، ثم خرجت منها كرات النار، وظهرت منها زوارق دائرية كبيرة تطير في الهواء، ومعها زوارق طائرة ترسل رياحًا كالعواصف، قذفوا اللهب علي الجنود..

وخاف جميع الناس وتوجه رجال الدين إلي المعبد..

وبعد ثلاث ليال سمع الناس صوتًا مدويًا كالرعد غرب النيل فخرج الناس كلهم ووجدوا أحد الزوارق مشتعلاً وعلي الأرض بجانبه كائن غريب لونه كلون رماد الفحم المحترق وعينه كعيون الجراد..

وخاطبه الملك باسم بلاد النيل،ودل الملك علي الفجوة التي خرجوا علينا منها..والتي قادتنا لهذه الأنفاق..

وعرفنا من هنا أصل كل شيء عن ماضي بلادنا القديم."

كان هذا هو المتن الأول إلي النهاية..

عندما أنهيته سمعت صوت الخطوات التي كنت أسمعها تتبعني، بدأ يعلو من جديد، وعاد صوت نقيق الضفادع ولكنه كان ضعيفـًا، فحاولت أن أسرع في القراءة فقد كانت الترجمة تستهلك مني وقتًا كبيراً، ولكن الصوت بدأ في الاقتراب بشدة، فعدت للخلف واستترت خلف أحد التوابيت بينما كان الصوت يقترب من مدخل البهو، ثم بدأت تظهر ظلال، كانت ظلالًا غريبة لم أفهم منها ما الذي يقترب، كان يمشي في طريقه ببطء حتي دخل البهو فجأة..

إنه مختار..

تنفست الصعداء وتوجهت له قائلاً: مختار الحمد لله أني وجدتك..أين باقي الفريق؟

مختار: لا أعلم لقد وجدت نفسي وحدي بمجرد أن تجاوزت الفجوة.

فقلت له: وأنا كذلك، لن تصدق ما حدث لي، ولن تصدق ما وجدته هنا، لقد وجدت كنزًا تاريخيًا، أعتقد أنني بدأت أفهم ما يحدث، لقد كنت محقا.

فقال: فيم؟

قلت: في كل ما قلته عن الرماديين.

قال: كيف

قلت: سأشرح لك.

ثم قصصت عليه ما قرأته في المتن الأول، ثم قلت له لابد أن ننهي تلك النصوص قبل أن يأتي أحد، فصوت نقيق الضفادع لا ينقطع، وسوف يكونون هنا في وقت قريب، ثم توجهت للمتن الثاني لأقرأه..

المتن الثاني:

"لقد غيرت الشمس مكانها، كانت تشرق من نفس المكان الذي تغرب منه الآن، قديمًا وقبل أن يمشي الإنسان علي الأرض كان هناك إمبراطورية عظيمة في هذا المكان، طلعت عليهم الشمس يومًا ثم لم تشرق عليهم من جديد..

إنهم السومريون..

آلهة الأرض، تحكموا في كل شيء حتي كانوا ينزلون المطر ويحركون الرياح، يرفعون الأحجار في الهواء ويروضون الصواعق ويحبسونها في أحبال يضيئون بها الليل..

ولكن تحول كل شيء فجأة إلي نار ودخان، سقطت النجوم فوق رؤوسهم وأغرقتهم الأرض، واختفوا نهاراً خلف قرص الشمس..

تم نفي شعوبهم إلي جوف الأرض، ولم يبق من أثارهم شيء سوي الأهرامات الثلاثة المجهولة التي تقع غرب النيل وحارسهم العظيم، وهذه الأنفاق اللعينة..

هذه الأنفاق لا أحد يعرف بأي يد شيطانية صنعوها، فهي تتلاعب بالزمن والمكان، وتحمل ذكري حية لما حدث لهم..عندما عرفوا أن الطبيعة أقوي من الآلهة، فقد ثارت عليهم الطبيعة وأعادت كل شيء إلى نصابه الصحيح، ولم يشفع لهم شيء.

أمر الملك بإزاحة الرمال التي تغطي جسد الأهرامات فوجد حجم الأهرامات أسفل الرمال ضعف ما فوقها..

وأمر الكتبة بتسجيل ذلك الحدث علي جدران الأنفاق ووضع نُصُب النحت العظيم لحماية الأنفاق، وأمر بتقديس الآلهة القديمة لأرضنا والصلاة لهم بالمعابد بجانب ديانة التوحيد، إتقاءً لشرورهم وغضبهم، يوم يعودون من جديد..

انتهي الحفر حول الأهرامات والإعداد لإغلاق مدخل هذه الأنفاق في الليلة الثانية من دخول النسر الواقع في الجوزاء."

انتهي هذا المتن ولكن كان تحته نص آخر يبدو منفصلاً عنه ولا رابط بينهما..

كان النص هو:

"حكمة الملك تقول: العقل الذي يمكن توقعه يمكن هزيمته بسهولة، لا تسمح للعدو أن يتوقع خطوتك التالية، وإذا كنت في محنة فتطلع بكلماتك نحو السماء»

ثم تبع الحكمة جملتان هيروغليفيتان لا أعرف لهما ترجمة ولكنهما تُنطقان هكذا

"زورسي - ناموشي - إيسي - هوجوينا "

"زورسي - نوتوري - ديافا - ميسكا "

مختار: هل هذا معقول؟ لقد ثبت ما كنا نشك به، الأطباق الطائرة كانت موجودة في ذلك الزمان..

فقلت وأنا يكاد عقلي يغيب من الدهشة: نعم، هذا يفسر الكثير أيضًا..

مختار: ماذا يفسر؟

قلت وأنا شارد مأخوذ العقل: هذه المتون تفسر بوضوح ذلك اللغز المحير على جدران معبد سيتي الأول في أبيدوس، نقوش الطبق الطائر كما نعرفه بالضبط، و نقش الطائرة المروحية لا تشك أنها من زماننا، وهي ما تصنع العواصف بمروحتها، النقوش التي كانت سببًا في الحيرة والجدل بين علماء المصريات لسنوات طويلة، الآن تبدو منطقية، كم هي الحقيقة قريبة لمن يريد رؤيتها!

مختار: لا أصدق ، أتظن أنه يمكن أن يكون تضليلاً؟

قلت لمختار: هل تسمع ذلك؟

فقال: ماذا؟

قلت: أنفاس ، هناك صوت أحد يتنفس بصوت مرتفع!

قال: لا ليس هناك شيء..

ثم قال: هل هذه الأهرامات المذكورة هي أهرامات الجيزة؟

فقلت: نعم، والنحت العظيم هو أبو الهول..



مختار: ولماذا كشفوا الأهرامات ؟ وما معني وضع النصب لأبي الهول لحماية الأنفاق؟

فقلت: إن الأهرام بها سر لا يفهمه أحد حتي الآن، العلم والمنطق يعجزان في بعض الأحيان عن فهم تلك الأهرامات، إنها من نفس نوعية هذه الأنفاق، تبدو في كثير من الأحيان أنها بنيت بيد غير بشرية..

فلا نعرف تحديدا ما هو سر الشكل الهرمي، ولكن ما يجعلني أقول أنها مثل تلك الأنفاق هو لغز الهرم الثاني تحديداً..ففيه قوة تتحدي العلوم، فالأشعة الكونية تنحرف أسفل ذلك الهرم وبداخله بشكل غير مفهوم وتتخذ مسارات مناقضة تماماً للعلم، ومناقضة لمساراتها في أي مكان آخر بالعالم، ربما كان بها قوة ما تستطيع مواجهة الرماديين..

ولكن أنا يشغلني أمر آخر لا أكاد أصدقه، أعيد حسابه في ذهني مراراً وتكراراً والنتيجة واحدة..

مختار: ما هو؟

قلت: هذه المتون تقول بأن الأهرامات إنما بنيت بيد السومريين، وقد كانوا كائنات كما يبدو شديدة التطور والتقدم، وقد تم كشف قصتهم لملك فرعوني غامض لم يذكر اسمه ولكنه كان يحكم أرض مصر عند دخول النسر الواقع في الجوزاء..

مختار: وماذا يعني ذلك؟

قلت: إن دخول نجم النسر الواقع في برج الجوزاء كان منذ ستة وثلاثين ألف سنة على أقل تقدير، أواثنين وسبعين ألف سنة أو مضاعفات أكثر..

هل تعرف معني أن يكون عمر الأهرامات ستة وثلاثين ألف سنة؟

هل تعرف معني أن الكتابة وتدوين التاريخ كان موجوداً منذ ستة وثلاثين ألف سنة؟

هل تعرف معني أن الفراعنة عاشوا أبعد مما نظن بثلاثين ألف عام؟

ومعني أن تكون الأهرامات غير فرعونية؟

هذا يعيد كتابة التاريخ يا مختار، تاريخ العالم كله..

ولكن ما معني أن الأنفاق تحمل ذكري حية لما حدث لهم؟

ثم نظرت إلي الجدار شاردا وأخذت أتخيل وأرتب الأحداث، ثم قلت: نعم، لقد رأيت بنفسي تلك الذكريات، ذكري الفوضي التي عمت ذلك الشعب في آخر أيام تاريخه..

نعم ، الآن أصبحت أفهم ما رأيت، إنها ذكري ما حدث لهم..

لقد عمت الفوضي، ولم يكن أحد يفهم ما يجري..

كان الناس يصرخون، اجتاحهم فزع عظيم، وكان هناك من يخطبون ويحاولون تنظيم الناس بلا فائدة..

ثم بدأت الحيوانات التي شعرت بالكارثة تهرب، نفرت مذعورة تحاول النجاة بحياتها..

عندما ظهرت سحب حمراء، أسقطت عليهم حمماً ساخنة تحرق الأجساد، كان فراراً مروعًا، مصحوبًا بالرجاء في النجاة ولكن خوفهم لم يشفع لهم، فبدأت تسقط السماء عليهم كسفًا..

سقطت عليهم أحجار من السماء، وجمرات من نار، قتلت منهم الكثيرين وتحول كل شيء إلى نار ودخان.. قبل أن يأتي دور البحار....

طغى طوفان هائل من أمواج البحار أتى من كل مكان فأغرق الناس، لقد رأيت الموج بعيني، لم يكن هناك مهرب، كان الهلاك قادم لا محالة..

ولم يكن شيء يمكنه إنقاذهم سوي أن يهربوا ناحية جوف الأرض..

مختار: ولكن لماذا لم يشفع لهم شيء؟

فسكتُّ قليلاً ثم قلت: أنت محق يا مختار، يا إلهي إن الأمر واضح..

«لقد غيرت الشمس مكانها»..

إن هؤلاء قد طلعت عليهم الشمس من مغربها..

لقد أغلقت دونهم أبواب التوبة، ودخلوا في زمان الفترة، في نهاية زمانهم، وباتوا في انتظار الساعة ويوم الحساب..

كان هذا قبل أن يُخلق آدم، تم نفيهم إلي جوف الأرض، واستبدالهم بخلق الإنسان بعدها من طين، خلق جديد خشيت الملائكة منذ علمت بخلقه أن يفسد في الأرض ويسفك الدماء من جديد، كما فعل السومريون قبله أو الرماديون كيفما تسميهم..

أنهيت كلامي وأنا أجلس على الأرض شاردا فقد شعرت بأن كل التاريخ قد انقلب في رأسي..

هناك نظرة أخرى لهذا العالم يمكننا رؤيته من خلالها..

التاريخ مجرد وجهة نظر..

مجرد خطأ حسابي واحد يمكنه أن يزيف تاريخ أمة، تاريخ الوجود الإنساني كله، مجرد تدخل شخص واحد من ذوي السلطان يمكنه أن يزيف وعي أجيال كاملة، ويصنع تاريخا وهميا أو يحطم تاريخًا عظيما..

اللعنة على هذا العالم العبثي..

سكتنا قليلاً ثم قال مختار: هذه هي الحقيقة إذن، للأرض آلهة متعددة، والإله الواحد وهم زائف..

فقلت: لا، ليست هذه هي الحقيقة، هذه فقط وجهة نظر من كتب هذه المتون، أو وجهة نظر ذلك الملك المجهول في التاريخ..

السومريون استعمروا الأرض قبل الإنسان، ويبدو أنهم كانوا شعوبًا كثيرة، منهم من هو بجسد إنسان ورأس حيوان كأنوبيس، ومنهم الرماديون، ومنهم من كان بجسد أسد ورأس إنسان كأبي الهول، ومنهم الطوال ومنهم الأقزام، ولكنهم كانوا متقدمين ومتطورين للغاية، غرتهم قدرتهم على الأرض وتمكنهم منها فكفروا وتجبروا، حتي إذا ظنوا أنهم قادرين على الدنيا أخذهم ذلك العذاب والطوفان كطوفان نوح، ولكنهم لم يموتوا عن آخرهم، فقط تم نفيهم بالطوفان، وبُدّلت لهم أرض غير الأرض وسماوات غير السماوات،

وهكذا بعد أن نصّبوا أنفسهم آلهة، أرسل الله عليهم العذاب فظن من بقي من شعوبهم بأن الطبيعة أقدر من الآلهة، فانتقلوا من عبادة الخلق إلي عبادة الطبيعة، من كفر إلي كفر، وبعد خلق آدم جاء الفراعنة وعرفوا ما عرفنا الآن فقدسوا الطبيعة وعبدوا الشمس، وخشوا غضب

السومريين المعتدين وصدقوا أنهم آلهة الأرض فعبدوهم إتقاءاً لشرورهم..

أعتقد أيضـًا أن الترجمة ربما كان لها دخل فيما حدث..

فقال: كيف؟

فقلت: ليست هناك ترجمة دقيقة لكلمة إله في اللغات العتيقة، أعتقد أن السومريين قالوا بأنهم سادة الأرض، وتُرجمت خطأً بآلهة الأرض..

أرأيت العبث؟

خطأ في ترجمة كلمة واحدة ينقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر، من توقير المخلوق إلى تقديسه، ينقل المخلوق من سيد إلي إله..

مختار: وما الفارق بين الآلهة والسادة بنظرك؟

فقلت: الفارق كبير يا مختار..

الإله هو الذي يصنعك بشروطه، أما السيد فأنت الذي تصنعه باختيارك، بقناعتك أنه سيد..

الإله هو الذي يصنع العطاء وليس من يضعه في يدك، هو الذي يصنع الرزق ويسوقه إليك وليس من يعطيك إياه مقابل كدك..

السيد مطاع بالإكراه، والإله طاعته بالاختيار..

السيد إذا غضب يهمل والإله إذا غضب يمهل..

السيد يكبلك بعبوديته، أما عبادة الإله فلا رق فيها..

لا يا مختار، الفارق بين السيادة والألوهية كما بين السماء والأرض..

هنا في هذا البهو تجد أصل كل شيء مدون، أصل ديانة العالم الوثنية القديمة وتقديسهم لآلهة ليس لها وجود خشية من بطشها، وهنا أيضاً تجد أصل الإلحاد والنظر للطبيعة كقوة أعلي من تلك الآلهة المزيفة، هنا بداية تأليه الناس لمخلوقات مثلهم وهنا بداية الإلحاد، ظلمات بعضها فوق بعض..

قلت هذا الكلام وأنا أجول بوجهي في كل اتجاه وصوت الأنفاس المرتفع الذي أسمعه لا ينقطع، فوقعت عيني علي يد مختار الذي كان يجلس بجانبي..

فاحتبست أنفاسي قليلاً ومنعت نفسي من الصراخ عندما رأيت يده..لم تكن يده التي أعرفها، كانت أصابع يده غليظة وبلا أظافر، ولونها كان واضحا، لون رمادي..

أيعقل هذا؟

أهو أحد الرماديين يتخفي في صورة مختار؟

تظاهرت أني لم ألحظ شيئا،وبدأت أفكر كيف أتصرف؟

انا لا أعرف كيفية مواجهة هؤلاء الشياطين..

فبادرني هو بالسؤال: إذن هل مازلت تعتقد أنك سوف تنقذ عائلتك؟

فترددت قليلا، ثم قلت مُتحديا وقد عرفت أني أتكلم مع أحد خاطفي عائلتي: ربما لا، وربما أكون علي يقين أنهم قد ضاعوا للأبد، ولكنني أؤمن بشكل كافي أن محاولة إنقاذهم هي رسالتي الأخيرة تجاههم..

فوجودي هنا هو البرهان على تفانيّ من أجلهم، في وجودي هنا تتمة لمعنى إخلاصي لعائلتي، والإخلاص في العائلة قيمة لا غنى عنها، هذا ماعشنا سويًا به ومن

أجله، عشنا لنحب بعضنا ونكمل بعضنا وندعم بعضنا، ونضحي من أجل بعضنا، ويؤثر كل منا الآخر على نفسه، هذا ما جعلنا عائلة..

ليس عليّ إيجادهم، ولكن عليّ إتمام دوري تجاههم، عليّ أن أقض مضاجع جلّاديهم حتى يُغمض الموت عيني، وأنا على يقين أن أحدهم لو كان مكاني لفعل مثلما أفعل، هم مازالوا عائلتي حتي لو فارقوا الحياة، وسأبذل نفسي من أجل هذه العائلة، سألقاهم في هذا العالم منقذاً لهم، أو سألقاهم في العالم الآخر وقد فاضت روحي من أجلهم..

بدأ صوت أنفاسه يعلو كأنما هو مِرجل يغلي بالماء، وقد تأكدت أنه كان مصدر ذلك الصوت من البداية، فنظرت أمامي وقلت وأنا أتجنب النظر نحوه: أعتقد أن الإيمان بالعالم الآخر والحياة بعد الموت هو الاعتقاد الكامن وراء كل فضيلة، ووراء كل وفاء يتحلى به البشر، لولا ذلك الإيمان لما صار هناك احترام أو توقير أو إخلاص لذكري أي إنسان.

أعتقد أن هذا هو الفارق بيننا وبينكم، أيها الرمادي اللعين.

عندها لمحته بطرف عيني يُدير وجهه نحوي ثم سمعت صرخة مفزعة طويلة..فأخفيت وجهي بذراعيّ حتي انتهي الصراخ فرفعت عيني نحوه فإذا به مسخ رمادي يقف أمامي وطوله ضعف طول مختار، يقف مجرداً بلا ملابس أو أسلحة، نحيل الجسد، ويمد ذراعيه إلي جانبيه، كان رأسه كبيرًا مثلث الشكل، وعيونه منتفخة كعيون الجراد ولونها أسود تمامًا، وأقدامه نحيلة ولكنها تبدو قوية..

ألجمني الخوف مكاني، وبدأت أشعر بوخز ينتشر في جسدي كله، وصوت كالطنين بأذني..

فجريت لأختبأ خلف أحد التوابيت صارخًا: ماذا تريدون؟ ماذا تفعلون على الأرض؟

فقال بصوت غليظ كأنما آلة إلكترونية هي التي تتكلم وهو يتحرك نحوي: نحن نراقب فقط، حتى يأتي الوقت المناسب..

فقلت وأنا أتحرك بحرص مبتعداً عنه: لماذا أخذتم عائلتي؟

فقال وهو يتطلع يمينًا ويسارًا باحثًا عني: فئران التجارب لا تسأل لماذا تم اختيارها..

فقلت وأنا أراقب حركته: لماذا تركتوني؟ خذوني معهم.

فقال وقد اقترب صوته مني: بقاؤك أفضل، عندما تتكلم ولا يصدقك أحد تموت الحكاية، ولكن إذا اختفيت تتحول الحكاية إلى أسطورة..

فقلت وأنا ألتف حول التابوت مبتعدًا: لماذا فتحتم الفجوة؟

فقال وقد انتبه لتغير مكاني المفاجئ: لم نفتح، أنتم من فتح الفجوة، صنعتم سلاحًا فتاكًا، فانفتح عليكم باب لعنة، أنتم من تفتحون أبواب اللعنات وتستنزلونها فوق رؤوسكم..

فقلت وقد جريت لأختبئ خلف تابوت آخر: نحن نطمح في رفاهية شعوبنا، لا دخل لنا بكم، ولا نريد استنزال لعنات..

فقال وهو يكمل البحث عني: هكذا تخدعون أنفسكم، السلاح وظيفته القتل وليس الرفاهية يا سليمان، صنعتم آلات التصوير ليتجسس بعضكم على بعض وليس للرفاهية، صنعتم التلفاز لتسيطروا على عقول الشعوب وتوجهونها وليس للرفاهية، استخدمتم الفنون لتنشروا الفجور، والشعوب تتصرف كصبيان حمقى يستكشفون لعبة ولا يعرفون ما وراءها، لا يعرفون أنها تتمكن منهم وتسيطر على حياتهم ومستقبلهم.

كل ما تصنعونه يقوده الجشع والطمع وحب السيطرة، لو أردتم عقاب المذنب فقط لاكتفيتم بسلاح واحد، قريبًا ستصنعون سلاحًا سيجعل الأرض ممهدة تمامًا لنخرج إليها، سيكون لنا ميراثها.

فقلت وقد ذهبت خلف تابوت آخر: لماذا يجب أن تأخذوا الأرض ولم تعد لكم؟

فقال وقد قفز ليقف فوق التوابيت باحثًا عني: نحن الهجين، نحن سومريون من نسل آدم، نملك الأرض مثلكم، ونملك ماضيها مثلهم، هكذا تزوج آدمي من سومرية.

أرأيت؟ أنتم سبب وجودنا في النهاية، إن وجودنا هو الثمن العادل لكل ما تفعلونه، إن وجود اللعنة ولوكانت كامنة هو الوجه الآخر للجشع والظلم وسفك الدماء.

فقلت: ماذا تنتظرون؟

فقفز فوق تابوت آخر مجاور للذي أختبئ خلفه قائلًا: ستأخذون أنتم الخطوة الأولى، يجب أن تستوجبوا على أنفسكم الاستبدال كما حدث مع أسلافنا قديمًا، فلا لوم علينا إن أخذنا الخطوة الثانية.

اللعنة لا تنزل على أحد لم يستوجبها، كل شعب يصنع لعنته بنفسه.

كلما شننتم حربًا، وصنعتم سلاحًا، وسفكتم دمًا، وأفسدتم في الأرض، كلما انفتحت فجوة، حتي تُملأ الأرض جورًا، وقتها تسقط رأس حارس الأهرامات، وحينها سيتغير كل شيء، وتنفتح الفجوات كلها، وسترون شعوبنا من كل حدب ينسلون.

ففزعت من جملته الأخيرة، وقفزت في ذهني الآية «حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون»

فقلت وقد اختنق صوتي وتسمرت مكاني: هل أنتم.. يأجوج ومأجوج؟

ففوجئت به وقد قفز أمامي وأصبح وجهه أمام وجهي، وينظر بعينيه السوداء في عيني نظرة مرعبة

وقال: سنسترد الأرض، إنها ملكنا، أنتم الدخلاء، قريبًا تسقط رأس حارس الأهرامات.

ثم نظر في عيني نظرة طويلة، فبدأت أشعر بشيء يضغط على جسدي، حتى شعرت بصعوبة في التنفس، وفوجئت بالدماء تقطر من تحت أظافري، ثم بدأت أنزف من أنفي، وما كدت أنتبه لهذا النزيف حتى شعرت بجسدي يرتخي تمامًا وتفقد عضلاتي عزيمتها، فسقطت ذراعي بجانبي.

كنت أقف عاجزًا عن رفع ذراعي أو تحريك جسدي عندما مد يده وقد استطالت أصابعه فأمسك رقبتي، ثم بدأ يعتصرها اعتصارًا حتى كدت أهلك، فمد يده الأخرى وقد استطالت أصابعها أيضًا فلفها حول قدمي، فأحكم قبضته علي جسدي وبدأ يعتصره، ثم رفعني وأمال جسدي بشكل أفقي، ووجهني لأعلى، فأصبح وجهي

مواجهًا لسقف البهو، فإذا على السقف صورة كبيرة ملونة ومهيبة لأنوبيس تغطي كامل السقف، لم أكن رأيتها من البداية.

ثم بدأت أشعر به يجذب رقبتي لليمين وأقدامي لليسار، إنه يريد أن يمزق جسدي إلى أشلاء، فصرخت صراخًا شديدًا، فتركني لأسقط بعنف على الأرض.

كانت السقطة عنيفة وقوة الشد التي مارسها على جسدي جعلتني غير قادر على الوقوف، فزحفت على الأرض محاولًا الاختباء خلف أحد التوابيت.

فرفع يده التي عادت لطبيعتها ووضعها على صدره، فإذا ببقعة ضوء زرقاء تشبه أشعة الليزر تظهر تحتي فجأة وتحصرني بداخلها، ولا أعرف مصدرها، وإذا بملابسي تشتعل بها النيران فجأة.

انتشرت النيران في ملابسي بسرعة وبدأت أشعر بمس النيران لجسدي، فصرخت وتمددت أرضًا وأخذت أدور وأتقلب على الأرض لإطفاء الحريق، حتى إلتصقت بالجدار فانطفأت النيران.

جلست ألهث وأنا أتحسس جسدي بعد الحريق الذي كاد يلتهمني عندما وقعت عيني على الجدار بجانبي، فرأيت الجمل المكتوبة مع حكمة الملك، وتذكرت فورًا كأنما استيقظت من غفوة بشكل مفاجئ أن كلمة زورسي هي كلمة باللغة الأوردية تعني «اصرخ».

فبدأت أربط بين صورة أنوبيس التي في السقف وكلمة « تطلع بكلماتك نحو السماء»..

أتكون هذه هي الخطوة غير المتوقعة التي تكلمت عنها حكمة الملك؟

وقبل أن أتجاوز هذه الفكرة كان الرمادي يمسك برقبتي وجسدي كاملًا ويرفعني مرة أخرى.

فتطلعت نحو صورة أنوبيس في سماء البهو وصرخت قائلًا: نامويشي - إيسي - هوجوينا

فإذا بعيني الرمادي تتسعان ويتغير لونهما الأسود إلى القرمزي، وإذا بصورة أنوبيس في السقف تتوهج حدودها لترسم وجه أنوبيس بلون النيران الأحمر، وإذا بعيني أنوبيس تشتعلان باللهب.

كنت مشدوهًا من هذا المشهد المهيب عندما قطع ذهولي وتعلُّق عيني بصورة أنوبيس نسران ضخمان يحومان فوقنا ويقطعان سماء البهو بسرعة كبيرة وصوت صفيرهما مرتفع جدًا يتردد صداه في الأرجاء، فنظرنا أنا والرمادي صوب تماثيل النسور فلم نجدها في مكانها.

لم تكن تلك التماثيل مجرد نُصُب من حجر للزينة أو اللهو، إنها سلاح وُضع في المكان الصحيح في الأنفاق لحمايتها من هجوم الرماديين.

ثم انتبهت فإذا بصوت النسور يتغير وينخفض ليصبح خافتًا.

كان خافتًا بالنسبة لي ولكنه بدا بالنسبة للرمادي كأنه صوتٌ من الجحيم، فبدا أنه فقد كل سيطرته على نفسه، وشعرت بقبضته على رقبتي وجسدي تضعف ثم تركني وأمسك برقبته هو وكأنه يختنق، ثم أخذ يترنح في جنون، شعرت وقتها أن الوخز الذي كان يسري بجسدي بدأ يختفي، وكذلك الطنين في أذني، ورأيت الرمادي يتلوى ويتشنج وكأن هناك سيوفًا تنغرس في جسده ثم بدأ جلده الرمادي يتشقق وينزف مادة سوداء، وتحولت بشرته

للون قرمزي ثم سقط على الأرض وأخذ يزحف متشنجًا ويختنق مقتربًا من التمثال الكبير الذي يشبه أبي الهول.

فقررت أن أصرخ بالجملة الثانية

فصرخت متطلعًا نحو أنوبيس: نوتوري - ديافا - ميسكا..

فإذا بصوت قعقعة شديد يتردد في البهو وكأن سقفه سوف يسقط، وإذا بالنسور ترتفع إلى أعلى ثم تنطلق إلى موضعها هاربة من شيء ما قادم وتعود أحجارًا.

ثم إذا بالمربع الذي على الأرض وسط البهو يرتفع مركزه، كأن الحلقة المعدنية التي في مركزه تجذبه لأعلى، كانت الحلقة نقطة إلتقاء المثلثات الأربعة، فما أن ارتفعت الحلقة حتي ارتفعت رؤوس المثلثات معها وبقيت قواعدها على الأرض مكونةً هرمًا رباعيّ الأوجه، ثم بدأت الحلقة فوق قمة هذا الهرم تدور.

دارت بسرعة فائقة فجأة كأنها مُحرك طائرة..



وكأن شيئًا من السحر أُلقي علينا في ذلك البهو.

فقد أخذت كل ذرات التراب والحصي والأحجار التي على الأرض ترتفع في الهواء في فراغ البهو، حتي معطفي الملقى على الأرض رأيته يطفو في الهواء، وإذا بأغطية التوابيت هي الآخرى ترتفع منفصلة عن توابيتها وتطفو فوقها بعدة سنتيمترات، وإذا بشعلات النار في المشاعل تغير اتجاهها نحو الأسفل كأنها تشير إلى الهرم في ظاهرة تتحدي الفيزياء التي نعرفها، ودرجة الحرارة ترتفع بصورة جنونية في ثوان معدودة وإذا بي أشعر أني لم يعد لي وزن، إلتفتُّ لأختبأ فرفعت قدمي لأفاجأ بنفسي أرتقي في الهواء، لم أعد أتثاقل إلى الأرض.

لقد توقفت جميع قوانين الفيزياء عن العمل هنا تمامًا.

أي شياطين لعينة صنعت للفراعنة مثل هذا السلاح؟

ضربت الجدار خلفي بقدمي فاندفعت سابحًا في الهواء نحو أحد التوابيت واختبأت خلفه، فألقيت نظرة بداخل التابوت من تحت غطائه فإذا هو فارغ.



ثم نظرت للرمادي فإذا هو على الأرض لم يصبه ما أصاب كل شيء من فقدان التثاقل إلى الأرض، وإذا به يمد يده نحو الهرم صارخًا كأنه يتحاشي سلاحًا موجهًا نحوه، ثم تشنج بعنف كأنما يتلقى طعنًا في جسده وإذا بكف قدمه اليمني فجأة تنفصل عن جسده وتُلقى بعيدًا، ثم كف قدمه اليسري، ثم كف يده اليمني، ثم كف يده اليسري، فأصبح مبتور الأطراف، كان ينزف دمًا أزرق اللون، فانبطح على الأرض زاحفًا نحو تمثال أبي الهول، وإذا بتمثال أبي الهول مفتوح الفم يصدر من فمه صوتًا كزئير الأسد، كان صوته مروعًا، ازداد معه توهج صورة أنوبيس حتى أضاء توهجها البهو كضوء الشمس، فصرخ الرمادي لحظتها صرخة مدوية مازالت تتردد في أذني حتى الآن، ثم تحول أمام عيني في لحظة إلى حجر.

فتوقفت حلقة الهرم عن الدوران وعاد لي وزني وتثاقلي فسقطت على الأرض أنا وكل الأشياء التي كانت تطفو في الفراغ، وخفُت توهج صورة أنوبيس في السقف تمامًا.

وانطفأت كل المشاعل، فغرق البهو في ظلام عميق.



(١٢)

أمسكت العود الأخير وأشعلت مشعلاً وأمسكته ثم اقتربت من الرمادي، لقد تحول إلى تمثال من حجر وهو في حالة عذاب شديدة ويشير بفزع نحو التمثال، ففزعت من هيأته وخرجت راكضًا أبحث عن مخرج من البهو، فوجدت مخرجًا خلف تمثال أبي الهول، فخرجت منه فإذا بطريق متشعب ولكن أحد أفرعه يأتي من نهايته ضوء، فذهبت إليه فوجدته نفقًا طويلًا في نهايته ضوء الشمس..

لم أصدق عيني، جريت قاطعًا ذلك النفق بأقصي سرعة، حتي وصلت بالفعل إلى المخرج، ووقفت على حافته.

إنه ضوء الشمس من جديد، فجثوت على ركبتي أضحك وعيني تدمع، ضحكت بشدة حتى تردد صدى صوت ضحكي عاليًا في المكان الذي أمامي والمملوء

بالجبال، عندما عاد إليّ صدى صوت الضحك تذكرت فجأة ما قالته الفتاة ذات البشرة الخضراء «سوف يدوي صوت ضحكك في مدينة بعيدة».

وانتبهت إلى أن الفجوة لم تكن محاطة بالجبال بهذا الشكل.

فالتفتُّ أنظر حولي لتقع عيني على جثث متحللة.

كان هناك كمية من العظام والهياكل العظمية التي مازالت متماسكة ويغطيها التراب.

اقتربت منهم وأزحت شيئًا من التراب، إنهم جنود وضباط، هل هذا المعسكر الذي كانت فيه الفجوة؟

مستحيل، فلم يمض وقت يسمح بتحلل الجثث.

أخذت أنفض التراب من عليهم حتي وصلت إلى أحد الضباط مات وهو جالس مستندٌ إلى جدار خلفه، أزحت من عليه التراب حتي ظهر اسمه على جيب سترته.

إنه «صبحي نصار»

يا إلهي.. أأنا بسيناء؟

أنا لم أقطع كل هذه المسافة، اللعنة على تلك الفجوة وهذه الأنفاق، كيف سأرحل الآن، إنني في أحد الممرات بين الجبال في وسط سيناء.

جلست شاردًا بجوار جثة صبحي نصار فلمحت مفكرة صغيرة ملقاة بجانبه وقلمًا، يبدو أنه كان يكتب شيئًا قبل موته.

فأمسكت بدافع من الفضول بالمفكرة وفتحتها، ولم أكن أعرف أن تلك المفكرة هي التي ستنقذني، كتب فيها:

«هذه الأنفاق لم تصنعها أيدي البشر، ليس هناك في التاريخ الإنساني القديم ما يشبه هذا المكان، وليس في الهندسة التي درسناها شيء يشبه هذا البناء.

هناك توابيت بالداخل لا يمكن لأحد أن يحملها أو يحركها، وهذه الأنفاق هي لغز أعقد من لغز التوابيت، فقد بُنيت بطريقة غامضة للغاية، إن في هندسة بنائها شيء مخالف للمنطق، ولها خصائص لا يمكن صنعها بالهندسة الحديثة، فكلما ازداد الجو برودة بالخارج كلما ازدادت دفئًا، وكلما ازداد الجو بالخارج حرارة كلما أصبحت هي باردة. لقد تلاعبت بنا هذه الأنفاق.

ظللنا هنا لشهر ونصف، أنا وكامل فرقتي، لقد زرعت بنا الخوف، لا أستطيع أن أحكي ما رأيناه وعانيناه منذ دخلنا الفجوة التي أدت بنا إلى الأنفاق.

لقد هوجمنا من قِبَل كائنات غريبة، مسوخٍ رمادية، لا أعرف إن كانوا من الجن والشياطين أم إلى أي جنس ينتمون.

لقد رأينا أهوالا، كنا نسمع في الليل صوت قيثارة، وأصوات أقدام تجري حولنا، وأصوات مياه تتسرب، وعندما أوشكنا على الهلاك، خرج علينا طفل وطفلة لون بشرتهما أخضر، قالا أشياءَ مرعبة، وتنبأت الطفلة بمقتل كل واحد منا على يد الآخر، ثم اختفيا فجأة، لقد ملأتنا تلك الطفلة الملعونة بالشكوك وانقلبنا على بعضنا في النهاية، أخذ الجنود يقتلون بعضهم بعضًا، كما تنبأت الطفلة تمامًا، لقد ملأ الرعب قلوب الجنود وانتهى بهم إلى الجنون، كانت الكراهية تسيطر على الجميع، فقدوا عقولهم فأخذوا يقتلون بعضهم، وتلقيت رصاصتين من آخر من تبقي من الجنود قبل أن أرديه قتيلًا.

لم يتبقَ أحد في النهاية غيري.

هذه الفجوة تقود إلي شبكة كبيرة جدًا ومعقدة من الأنفاق المتقاطعة، إنها متاهة كبيرة من الطرق تربط بينها مساحات

دائرية تتفرق عندها تفرعات الأنفاق..

مفتاح المتاهة هو حجر أحمر موجود في وسط جدار المساحات الدائرية.

اشتد النزيف في الساعة الأخيرة وأصبحت أشعر ببرودة الموت، أشعر به يزحف على جسدي، فليسامحني الله على ما حدث.

وقد رسمت طريقًا للخروج، ولكن لم يسعفني الوقت.

إنهم يحيطون بي من كل مكان. إنهم حُراس هذه الفجوة.

إنهم ......»

انتهت المفكرة عند هذا الحد

فتشت في ملابس الجنود عن ثقاب حتي عثرت عليه وأشعلت المشعل، واتجهت مسرعًا إلى الأنفاق فورًا فدخلت إلى هناك وعدوت عبر النفق حتى وصلت إلى المساحة الدائرية التي تتفرع عندها الأنفاق، أخذت أوجه المشعل في كل اتجاه حتى عثرت على الحجر الأحمر، إنه بارز عن الجدران الملساء، فضغطت عليه فدخل إلى داخل الجدار، فإذا بالأرض من تحتي تدور بجدرانها

فأغلقت الجدران كل المخارج إلى كل تفرعات الأنفاق وبقيت فتحة واحدة، فعدوت فيها حتى وصلت لمساحة دائرية أخرى فكررت العمل، مضت حوالي ساعة ونصف وأنا أجري في الأنفاق أنفذ نفس الخطوات، حتي وجدت نفسي فجأة أمام الجدار السائل الذي دخلت منه، لم أصدق عيني، أنا أخيرًا حر، سأخرج.

هناك طريق للعودة وليس كما قيل الطريق من اتجاه واحد.

لقد كان تحذيرًا مضللًا.

إنطلقت نحو الجدار السائل لأخرج، فإذا بي أسمع صوتًا يشبه صوت أوتار مشدودة.

وقفت ثم شعرت بألم في جانبي، وبدأت أشعر بتنميل يسري في جسدي، حاولت أن أصرخ ألمًا فاحتبس صوتي.

ماهذا؟ لقد احتبس صوتي بالكامل ولم أعد أستطيع الكلام، أحاول جاهدًا أن أخرج الكلام ولكن بلا فائدة، مددت يدي إلى مكان الألم بجانبي فإذا بشوكة منغرسة فيه.

أمسكت بتلك الشوكة في جانبي ونزعتها فإذا هي شوكة خشبية ذات ريش من الخلف، إنها شرك فرعوني شهير، شوكة يغمس حدها في سم إحدى السمكات البحرية، إنه سم يخدر أعصاب الجسد تمامًا وقريبًا سوف تتبلد كل ردود أفعالي وأصبح كالموتي الأحياء، الآن فهمت لماذا خرج عوض بهذا الشكل، يجب أن أخرج سريعا قبل أن أفقد الوعي، فأنا لا أعرف ما مدي سُمّية الكمية التي دخلت جسدي من تلك الشوكة..

انطلقت خارجًا من الفجوة التي أصدر جدارها السائل وميضًا كالبرق أثناء خروجي.

فأحاط بي فورًا كل من كان قد بقي بالمعسكر، وكانوا خمسة أشخاص، كان لبيب ومعه أربعة جنود، ولم يكن معهم عبد الملك، أخذوا ينادونني وأنا لا أستطيع الكلام، ولا حتي إعطاء رد فعل لأي من انفعالاتهم، قالوا أن يحيى قد خرج في حالة سيئة وفقد الوعي، وسألوني عن حجازي ومختار وغانم ونسيم، وأخبروني أنهم لم يعودوا، مشيت خطوات مبتعدًا عن الفجوة، ثم التفتُّ ناحيتها، حاولت اعتصار نفسي لأتكلم ولكن بلا فائدة.

ثم فجأة سمعنا صوتًا كالرعد لم نسمعه من قبل يخرج من الفجوة، ووميض كالبرق عنيف يخرج منها،ثم انطلق فجأة منها الضباب مرة أخرى، كان الضباب شديد الكثافة.

وقف الجميع واجمين ينظرون نحوها وكأن على رؤوسهم الطير، بينما خرج منها خمسة مسوخ رمادية كذلك الذي حاربته بالداخل.

تقدموا نحونا في خطوط مستقيمة، توجه كل واحد منهم إلى واحد من الخمسة أشخاص الذين يقفون حولي، ومد كل منهم يده إلى واحد من الخمسة، فرفعوا أيديهم وساروا معهم مسلوبي الإرادة كأنما هم تحت تأثير تنويم مغناطيسي.

توجه الرماديون يقودون الخمسة أفراد نحو الفجوة، ثم وقفوا لثوان، ثم أكملوا المسير فدخلوها واحدًا تلو الآخر، ثم وقف آخرهم والتفت نحوي وأشار إليّ بإصبعه إشارة تحذير، ثم دخل.

بعد ثوان معدودة سمعت صوت قعقعة في الأرض وأصابها ما يشبه الزلزال، اهتزت الأرض من تحت قدمي فوقعت على الأرض، ورفعت بصري نحو الفجوة وأنا



ملقى على الأرض في حالة شلل، لأراها والهضبة التي تحتويها تتشقق وتسقط الأحجار منهمرة لتسد الفجوة ثم تنهار الرمال فوقها لتدفن الفجوة تحت أطنان من الرمال تخفي معالم كل شيء، ولا يبقى في المكان كله غيري.

ثم شعرت بجسدي يتخلى عني تمامًا، وغبت عن الوعي، واستيقظت هنا بين أيديكم.





(١٣)

للمعرفة ثمن فادح، وعلى من يكتشف الحقيقة أن يسدد ضريبة باهظة، ولكني لن أتراجع، ما أقوله هو الحقيقة التي رأيتها بعيني، مهما حاولوا طمس أدلتها فلن يستطيعوا هذه المرة، فأنا شاهد عيان على استعداد للموت من أجل إظهار الحقيقة، وأحمد الله أني بقيت حيًا أنا ورفاقي لنحكي ما حدث ونفضح وجودهم.

لقد عشت عمرًا كاملًا من أجل تلك اللحظة التي أصل فيها لحقيقة هذا العالم، حاولت دائمًا الوصول للحقيقة الكاملة، ومعرفة الأسرار والبحث خلالها ظنًا مني أني سأصل لما لم يبلغه غيري، وأدرك الحقيقة الكاملة،

ولكني بعد كل هذا العمر والعلم والخبرة فوجئت بأن الظنون هي ما كانت تملأ عقلي.

كنا رغم علمنا ودراستنا وخبراتنا نواجه الفجوة بجهل تام.

هل هم الجن والشياطين؟

أم هو سلاح مادي؟

أم لعنة؟

هل هي حقيقة أم خدعة؟

هل هي أنفاق الفيزياء النسبية أم ثقب في جبل ؟

هل الفجوة علم أم وهم ؟

لم يكن هناك -رغم العلم- يقين واحد نجزم به

لم يكن أي منا مخطئًا تمامًا ولا مصيبًا تمامًا، لقد رأي كل منا بوجهة نظره جزء من الحقيقة، قطعة من الصورة، لا تكفي لندعي أننا نعرف الحقيقة، وليست ضئيلة لنستغني عنها في فهم كامل الصورة.

نحن في هذا العالم المادي لا نملك -مع كل علومنا- إلا الظنون..

لا نعرف حقيقة كاملة أبدًا، مجرد احتمالات، ظنون راجحة.

حتي القواعد العلمية الراسخة لابد لها من شذوذ، فالحقيقة أنه ليس هناك قاعدة، هناك ظن غالب، هناك احتمالات كبيرة واحتمالات ضئيلة.

لا يمنحنا العلم إلا مزيدًا من الاحتمالات للحقيقة، ومزيدًا من الظنون حولها..

ولكنه لم يمنحنا يقينا يهدينا سبيل الرشاد..

ربما كنت مخطئًا فيما وصلت إليه من نتائج، ولكن المهم هو أني لم أتوقف عن البحث والتقصي وسبر أغوار الكون لمعرفة الحقيقة التي وإن لم أدركها كاملة فإني أدركت منها جزءًا يمكنه أن يساهم في بناء المعرفة الإنسانية.

نحن نري من العالم بقدر ما تراه أعيننا وندرك من الحقيقة بقدر خلفياتنا المعرفية، لا بقدر الحقيقة الكاملة أو المطلقة..

نري جميعًا نفس الصورة بنفس العين، ونختلف في إدراك حقيقتها اختلافًا يشعل الحروب.

إن حقيقة الإنسان أنه أقل من أن يشعر بالزهو والغرور، وأجهل من أن يعرف شيئًا على وجه اليقين.

هي فقط ظنون راجحة نتبعها، أو إيمان راسخ قائم علي أدلة قد تمنحنا اليقين.



انتهت فيما تقدم أعلاه أقوال البروفيسور سليمان الصواف كاملة كما وردت في المحضر رقم ٦٩٣٢ نيابة عسكرية، والذي تحرر بحضورنا نحن العقيد زكريا عبد المنصف وأمام لجنة التحقيق المنتدبة من وزارة الدفاع، وبعد الاستماع لأقوال كافة أطباء المخ والأعصاب واستشارة لجنة من كبار الأطباء النفسيين التابعين للقوات المسلحة حول حالة البروفيسور سليمان وما أدلي به من أقوال..

فقد تلخص تقرير اللجنة الطبية الأخيرة كالتالي:

بعد الفحص الدقيق للسيد سليمان الصواف تبين لنا أنه قد عاني من اضطراب عقلي شديد لفترة طويلة وكما أدلي الطبيب المعالج له أنه كان يعاني من السير أثناء النوم لعدة سنوات، وأضافت اللجنة أنه قد تدهورت حالته حتى أصيب بالفصام، وكانت أعراض الفصام الحادة التي عاني منها متمثلة في ضلالات سمعية وبصرية وتوهمات حول شخصيات عديدة كوّنها عقله وأقحمها على حياته، وقد انحصرت الشخصيات التي يتوهمها في مجموعة رئيسية من الشخصيات التي لم يُستدل عليها إطلاقًا، مما يؤكد أنها شخصيات وهمية، وهي بالتفصيل الآتي:

١ - شخصية غير واضحة المعالم تدعي «حجازي».

٢ - شخصية غير واضحة المعالم تدعي لبيب.

٣ - شخصية غير واضحة المعالم تدعي الجندي عوض.

٤ - شخصية غير واضحة المعالم تدعي الجندي غانم.

٥ - شخصية غير واضحة المعالم تدعي الجندي نسيم.

٦ - مجموعة من الشخصيات المبهمة تمامًا والتي أطلق عليهم الرماديون، ووصفهم بأوصاف متعددة، حصر فيها كل معاني الشر والقدرات الفائقة للطبيعة واللعنات المرتبطة بعمله في الآثار.

وقد أجمعت اللجنة الطبية على أن السبب في تلك الحالة هو تعرضه إلى جرعة حادة من غاز عصبي أنتجه نوع معقد من الأسلحة البيولوجية في طور التجربة تم تطويره عن طريق بعض المهندسين في القوات المسلحة، وقد كوّن السلاح أثناء تجربة تشغيله سحابة من الغاز العصبي تشبه الضباب فوق موقع التجربة مما أدي لتسمم جميع الحيوانات على مسافة ميل من المعسكر ونفوقها، وإصابة كل المتواجدين -ومنهم سليمان الصواف- بأعراض تنوعت بين هلاوس سمعية وبصرية، وبين التسمم العصبي الحاد، ما أدي لتعذر استجوابهم.

وهم علي سبيل الحصر: المهندس عبد الملك البغدادي والسيد يحيى عجيلة والجندي أنيس عبد ربه، وخمسة من الفنيين الذين حضروا التجربة، وقد أصيب الثمانية بتسمم عصبي حاد وتوفي الفنيون الخمسة بعد

التجربة بساعات قليلة، وعُثر على الثلاثة الآخرين في حالة غيبوبة تامة، وبعد الإفاقة بدقائق أصيبوا بتشنجات صرعية قبل أن يلقوا مصرعهم..

وتُرجح اللجنة أن ما زاد حالة الدكتور سليمان الصواف تدهورًا هو الصدمة العصبية التي تلقاها عندما اكتشف هروب زوجته وابنه في ظروف غامضة، ما أدى إلى إصابته باكتئاب شديد وحالة رفض للواقع.

وقد تقرر احتجازه بالمصحة النفسية وإخضاعه للعلاج، كما تقرر أن تتحمل الدولة نفقات العلاج تقديرًا لمجهوده وتاريخه المهني الحافل بالإنجازات.

وقد بقيت بعض الملاحظات التي أردت أن أفردها بالذكر في نهاية التقرير مع توصيتي بفتح تحقيقات فرعية عاجلة حولها.

أولا: اختفاء السجل الخاص بالمعسكر بعد تفريغه من قوته لإجراء التجربة، مما يخفي أي معلومات عن المجموعة التي قامت بإجراء التجربة كما جعل الساعات التي تلت إجراء التجربة مبهمة تمامًا وتعذر بذلك معرفة

وضبط الأفراد المتواجدين بالمعسكر لاستجوابهم حول ما حدث، بخلاف من تم العثور عليهم والذين لقوا مصرعهم جميعًا.

ثانيًا: العثور على الدكتور "علي الحوار" والذي ورد اسمه في التحقيق علي لسان البروفيسور سليمان الصواف غارقًا في حوض الاغتسال بمنزله في اليوم التالي للتجربة، وبرغم تأكيد الطب الشرعي أن الوفاة طبيعية وليس بها شبهة جنائية، إلا أني أوصي بتحقيق موسع حول ملابسات تلك الحادثة.

ثالثًا: بخصوص التقرير الذي قدمته اللجنة البيطرية عن الطيور منزوعة العيون والألسنة، لم تقدم اللجنة أي تفسير منطقي أو مقبول حول هذه النقطة تحديدًا، وهي من الأمور المثيرة للريبة وتحتاج المزيد من البحث والتقصي بشكل فوري.

رابعًا: العثور على جثة متفحمة مجهولة الهوية بجوار المعسكر بما يتفق مع رواية الدكتور سليمان الصواف حول احتراق جثة أحد العمال، ونظرًا لأنها متفحمة فقد



تعذر الحصول على أي معلومات حول صاحب الجثمان، ونوصي بضرورة إجراء تحريات سريعة حول الأمر.

تمت كتابة هذا التقرير بحضور السيد مختار الرشيدي وتوقيعه، وهو الشاهد الوحيد الذي عُثر عليه حيًا فاقدًا للوعي في بيته، وقد أقر بمعرفته بالسيد سليمان الصواف ولكنه أنكر تمامًا معرفته بالتجربة أو الشخصيات أو التفاصيل التي ذكرها السيد سليمان في أقواله.

انتهى

العقيد/ زكريا عبد المنصف

تمت